كارل ماركس

أطروحته للدكتوراه 1841م

الاختلاف بين فلسفة الطبيعة

عند ديمقريطس وإبيقور

تُترجم للمرَّة الأولى إلى العربيَّة

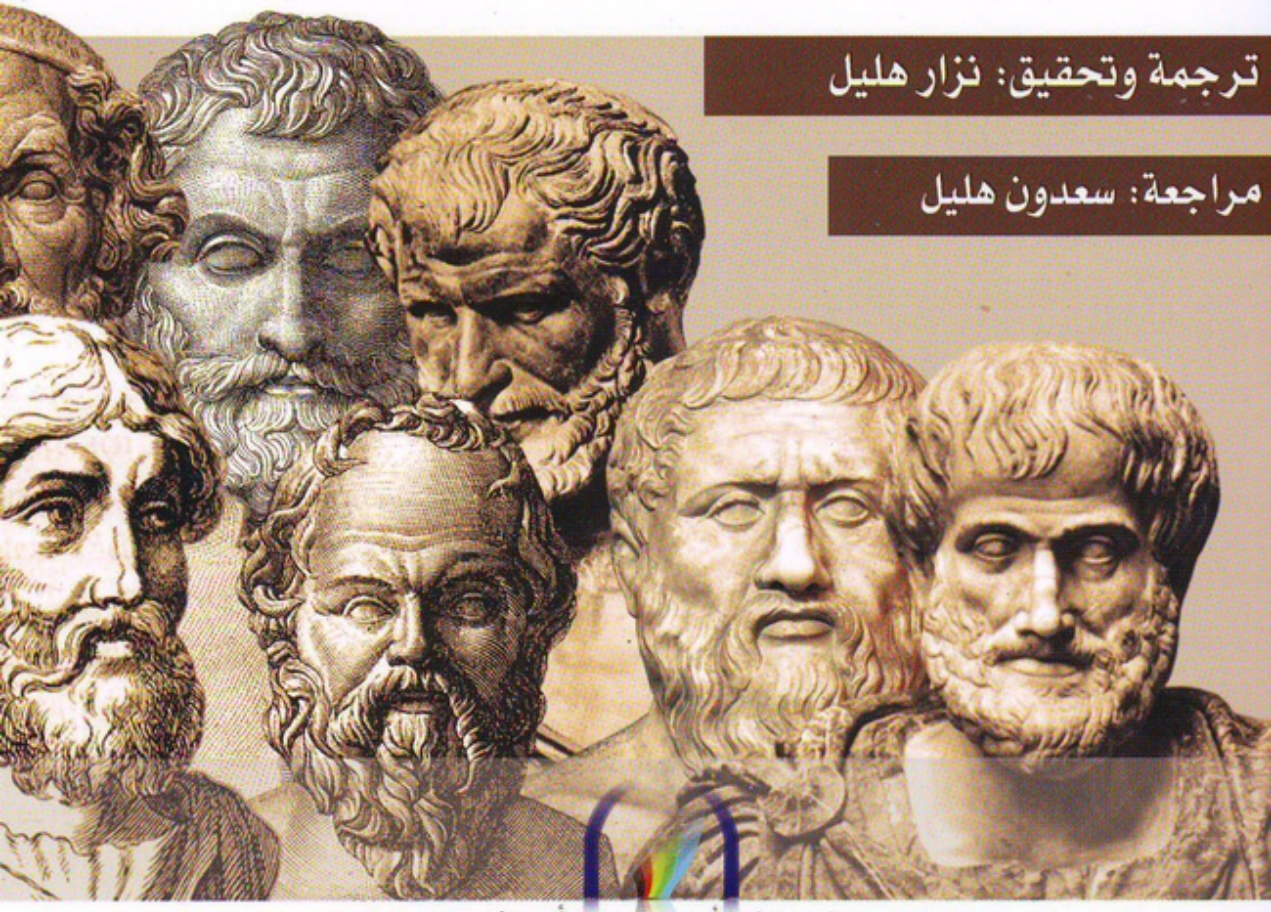

ترجمة وتحقيق: نزار هليل

مراجعة: سعدون هليل

المركز الأكاديمي للأبحاث

الاختلاف بين فلسفة الطبيعة عند ديمقريطس وإبيقور

كارل ماركس

أطروحته للدكتوراه 1841م

ترجمة وتحقيق:
نزار هليل

مراجعة:
سعدون هليل

الاختلاف بين فلسفة الطبيعة عند ديمقريطس وإبيقور

The Difference Between the Democritean and Epicurean Philosophy of Nature

تأليف: كارل ماركس

ترجمة وتحقيق: نزار هليل

مراجعة: سعدون هليل

إخراج الكتاب وتصميم غلافه: القسم الفني

الناشر: المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت: الطبعة الأولى 2026

العراق/ تورنتو - كندا

The Academic Center for Research

TORONTO -CANADA

موثق بدار الكتب والوثائق الكندية.

Library and Archives Canada

ISBN : 978-1-998556-48-9

naseer.alkaabi@uokufa.edu.iq

كافة حقوق النشر والاقتباس محفوظة للمركز الأكاديمي للأبحاث.

Copyrights©The Academic Center for Research 2026

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن آراء المركز الأكاديمي للأبحاث واتجاهاته.

+964 780 226 2494 facebook.com/acadcntr www.acadcr.com info@acadcr.com

فهرس المحتويات

مقدمة المترجم 7

الإهداء 39

تمهيد 41

القسم الأول

الاختلاف بين الفلسفة الديمقريطية وفلسفة إبيقور للطبيعة بشكل عام 47

1. موضوع الأطروحة. 49

2. آراء حول العلاقة بين الفيزياء الديمقريطية والإبيقورية 54

3. صعوبات تتعلق بتطابق الفلسفة الديمقريطية والإبيقورية للطبيعة. 61

القسم الثاني

الاختلاف بين الفلسفة الديمقريطية وفلسفة إبيقور للطبيعة بالتفصيل 87

الفصل الأول: انحراف الذرة عن الخط المستقيم..... 89

الفصل الثاني: خصائص الذرة..... 107

الفصل الثالث: مبادئ الذرات وعناصر الذرات 123

الفصل الرابع: الزمن..... 135

الفصل الخامس: النيازك (الأجرام السماوية)..... 143

ملحق: محطات مصوّرة من حياة كارل ماركس..... 163

مقدمة المترجم

يطرح تساؤل حول مدى استمرارية الفكر الماركسي بعد رحيل صاحبه تحدياً فكرياً مهماً في فهم طبيعة الأفكار وعلاقتها بأصحابها. فهل يمكن القول إن انتهاء حياة المفكر يعني بالضرورة انتهاء صلاحية أفكاره، أم أن هناك ديناميكية أخرى تحكم استمرارية الفكر وتفاعله مع الواقع؟

تشير التجربة التاريخية إلى أن الأفكار تتمتع بحياة مستقلة عن حياة أصحابها البيولوجية. فكارل ماركس الذي فارق الحياة في العام 1883 ترك وراءه إرثاً فكرياً لا يزال يشكل محوراً للنقاش والتحليل والتطبيق في أشكال متنوعة عبر القارات المختلفة. إن نظرياته حول الرأسمالية والصراع الطبقي ونقد الاقتصاد السياسي تجد لها صدى في الجامعات والحركات السياسية والنقاشات الفكرية المعاصرة.

إن الكتابات الغزيرة حول شخصية ماركس وفكره تكشف عن التعقيد الذي يحيط بهذا الإرث الفكري. فقد تناولته مئات الدراسات وعشرات الكتب إما بنبرة التقديس والإعجاب وإما بروح الخصومة والعداء، نادراً

ما كانت محايدة تماماً. كل سطر كتبه أثار مئات الصفحات من التعليقات المتضاربة بين الغضب والإعجاب. البعض صورّه كمغامر سياسي وانتهازي مالي وطاغية في حياته الشخصية وطفيلي اجتماعي، بينما رآه آخرون بمثابة نبي وكائن استثنائي وعملاق في الاقتصاد ومؤسس العلوم الاجتماعية والتاريخ الحديث والأنثروبولوجيا وحتى التحليل النفسي. وذهب فريق ثالث إلى حد اعتباره آخر الفلاسفة المسيحيين العظام [1].

تمثل أطروحة الدكتوراه لكارل ماركس «الاختلاف بين فلسفة الطبيعة عند ديموقريطس وأبيقور»[2] عملاً فكرياً محورياً في بداية مسيرته الفلسفية، ومع ذلك لم تحظ بالاهتمام الكافي رغم ما تكتنزه من عمق فلسفي وأهمية تاريخية. يقدم هذا العمل مفتاحاً لفهم التطور الفكري لماركس قبل انخراطه في مشروعه الفكري الأكبر في نقد الاقتصاد السياسي والرأسمالية.

إن الاهتمام بفلسفة الطبيعة في هذه الأطروحة لم يكن مجرد نزوة شبابية أو مرحلة عابرة في حياة ماركس، بل كان محاولة جادة للتوفيق بين تيارين فكريين رئيسيين: المادية الميكانيكية التي طورها فلاسفة التنوير في أوروبا الغربية، والفلسفة المثالية الألمانية التي بلغت ذروتها مع هيغل[3]. سعى ماركس

(1) كارل ماركس أو فكر العالم سيرة حياة، جاك أتالي، ترجمة محمد صبح عن الفرنسية، ص 10.

(2) انظر الأعمال الكاملة نشر النص لأول مرة بعد وفاة لكارل ماركس فريدريك إنجلز، المجلد الأول: كتابات من مارس 1841 إلى مارس 1844. شتوتغارت، 1902.

(3) ينتمي هيجل (-1831) إلى الفلسفة المثالية الألمانية، وهو أحد أعظم الفلاسفة

من خلال دراسته المقارنة للفيلسوفين الذريين إلى تجاوز المادية الميكانيكية المحضة التي تُرجع كل شيء إلى الضرورة المطلقة، وفي الوقت نفسه تفادي الغائية والمثالية اللاهوتية التي تطبع الفلسفة الألمانية.

حياة ماركس ومسيرته التعليمية

بدأت مسيرة كارل ماركس الجامعية في مجال الحقوق بجامعة بون عام 1835، وهو في السابعة عشرة من عمره، بعد أن أتم دراسته الثانوية في تريير. ومع دخوله الجامعة وبتشجيع من والده الذي كان يرغب في أن يصبح ابنه محامياً، بدأ دراسة القانون، لكنه كان مهتماً بالفلسفة والأدب أكثر من اهتمامه بالقانون. كما أنه كان يرغب في أن يصبح شاعراً وكاتباً مسرحياً. وفي هذه الفترة بدأ بدراسة الأساطير اليونانية والرومانية وتاريخ الفن.

كان ماركس موهوباً في اللغات؛ فبعد إتقانه الفرنسية واللاتينية بمستوى متقدم في المدرسة الثانوية، قام بتعليم نفسه الإسبانية والإيطالية والإسكندنافية والهولندية والروسية والإنجليزية[1]. في عامه الأول بالجامعة، ابتعد إلى حد ما عن التعليم الجامعي الرسمي - ربما لأنه لم يكن مهتماً بدراسة الحقوق - مما جعل والده يوافق على نقله إلى جامعة برلين عام 1836.

تأثيراً في التاريخ. تخرج معظم الفلسفات المعاصرة تحت تأثير أفكاره، وكان لتوجهه المثالي تأثير عميق على فلسفة ماركس المادية الجدلية.

(1) كارل ماركس أو فكر العالم سيرة حياة، جاك أتالي، ترجمة محمد صبح عن الفرنسية، ص 30.

في جامعة برلين، واجه ماركس مجموعة كبيرة من المفكرين البارزين الذين كانوا في جدال فكري حول قضايا الدين والفلسفة والأخلاق والسياسة. كانت الهيمنة الفكرية في ذلك الوقت لهيغل، وبدأ ماركس بدراسة فلسفة هيغل بجدية، واصفاً إياه لاحقاً بـ«الأستاذ العظيم». انضم ماركس خلال هذه الفترة إلى مجموعة الهيغليين الشباب، وأصبح تدريجياً من مؤسسي الجناح اليساري[1] منهم.

التهم ماركس كثيرا من صنوف المعرفة، ولكنه بالتدريج ايقن أن فلسفة هيغل هي العمود الثابت الوحيد في فيض الاشياء الدافق اول معرفة لماركس بهذه الفلسفة مفتتة، «فلم يرق له لحنها الغريب المتنافر» ولكنه خلال نوبة ثانية من المرض درسها من البداية حتى النهاية، وسرعان مـا انضم الى ناد للهيغليين الشباب وهناك في خضم صراع الآراء، أصبح يشعر انه اكثر ارتباطا بفلسفة العالم الراهن.[2]

بقي ماركس أربع سنوات في برلين، وفي مارس 1841 أكمل دراسته في مجال الفلسفة وقدم أطروحة الدكتوراه إلى جامعة يينا. قبلت هذه الجامعة في 15 أبريل 1841 رسالته المعقدة ومنحته درجة الدكتوراه في الفلسفة.

بدأ ماركس منذ عام 1838 في جامعة برلين بدراسة واسعة للفلسفة اليونانية

(1) اعتمد اليسار الجديد على النقاش والجدل لانتقاد النظام الحاكم، بينما ركز على القضايا الإنسانية التي أهملتها السلطة. وهذا يختلف عن اليمين المحافظ الذي يدعم النظام القائم ويبرر سياساته.

(2) كارل ماركس: تاريخ حياته ونضاله، فرانز مهرنغ، ترجمة: خليل الهندي، بيروت: دار الطليعة، ص 17.

معتمداً على المصادر الأصلية باللغة اليونانية، وخاصة دراسة فلسفة أبيقور. كانت نتيجة هذه الدراسات سبعة دفاتر ملاحظات حول فلسفة أبيقور. كانت هذه الدفاتر جزءاً من المواد التي أراد استخدامها في تأليف عمل كبير كان ينوي كتابته عن الفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة الرواقيين والأبيقوريين والشكاكين.[1] من هذه الدراسات والملاحظات الواسعة تم إعداد وتنظيم وتقديم رسالة الدكتوراه بعنوان «الاختلاف بين فلسفة الطبيعة عند ديموقريطس وأبيقور» إلى الجامعة.

نشأة أطروحة الدكتوراه وطبيعتها

اتخذ ماركس قراره بكتابة أطروحة دكتوراه، الهيغلية التعبير[2]، في مجال الفلسفة[3] في نهاية عام 1838. وخلال العام التالي، وربما حتى في بداية عام 1840، قام بالعمل التحضيري، وقرأ وكتب ملاحظات يمكن اعتبارها أعمالاً تمهيدية لأطروحته، وأهمها ما يسمى بـ «دفاتر أبيقور الواسعة». نشأت الأطروحة نفسها في نهاية عام 1840 وبداية العام التالي، وحملت عنوان «الاختلاف بين فلسفة الطبيعة عند ديموقريطس وأبيقور» [4].

(1) نفس المصادر، ص .29.

(2) كارل ماركس، هنري لوفافر، ترجمة، محمد عيتاني ص87، دار بيروت لطباعة والنشر لسنة، 1972.

(3) وهذا الأطروحة التي استندت إلى (الدروس في تاريخ الفلسفة) لهيغل. انظر، كارل ماركس، روجيه غارودي، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الأدب،1971.

(4) نصيحة برونو بوير لماركس بالعمل في أطروحة حول المادية القديمة «اختلاف

أرسل ماركس عمله للتقييم إلى جامعة «يينا»[1] في 6 أبريل 1841، حيث كان من المفترض أن تكون هناك نظرة متفهمة أكثر للأعمال الهيغلية الشبابية ذات التوجهات السياسية والرؤى العالمية الراديكالية. كان الحصول على الدرجة العلمية من يينا سهلاً من الناحية العملية، إذ لم يكن على المرشح أن يكون حاضراً شخصياً، ولم تكن الأعمال دائماً تُفحص بعناية كبيرة. تمت الموافقة على أطروحة ماركس بسرعة، وفي 15 أبريل 1841 أصبح الدكتور كارل ماركس.

خطط ماركس مرتين لنشر عمله ككتاب، المرة الأولى أثناء كتابته والثانية بعد ما يقرب من عام، في أواخر عام 1841 وأوائل عام 1842. دليل المحاولة الأخيرة هو شذرة قصيرة تتكون من بضع جمل كانت مخصصة لبداية مقدمة جديدة. ومع ذلك، في كلتا المناسبتين، تلاشى المشروع لأسباب غير معروفة.

نتيجة لذلك، لم تظهر أطروحة ماركس للدكتوراه للجمهور إلا بعد عشرين عاماً من وفاته، وتحديداً في طبعة مختصرة حررها فرانز ميرينغ عام 1902. نُشرت بالكامل للمرة الأولى فقط في عام 1927 في ما يسمى بـ MEGA القديمة (الأعمال الكاملة المخططة لماركس وإنجلز)، والتي توقف نشرها بعد ذلك.[2]

فلسفة الطبيعة لدى ديموقريطس وأبيقور»، محاكية لعنوان بحث هيجل «الاختلاف بين منظومة فخته ومنظومة شيلينغ». انظر. كارل ماركس أو فكر العالم سيرة حياة، جاك أتالي، ترجمة محمد صبح عن الفرنسية، ص.49.

(1) يينا: اسم المدينة الألمانية حيث توجد جامعة فريدريش شيلر 1841: السنة التي حصل فيها ماركس على الدكتوراه.

(2) انظر الأعمال الكاملة نشر النص لأول مرة بعد وفاة لكارل ماركس فريدريك إنجلز،

فقدان أجزاء من المخطوطة

من سوء الحظ أن عمل ماركس لم يُحفظ كاملاً، بل فُقدت بعض المقاطع. المخطوطة المحفوظة تعود إلى أوائل عام 1841، عندما كان ماركس لا يزال يستعد لنشر عمله بسرعة، وكلف شخصاً لديه خط يد أفضل من خطه بنسخ النص بشكل نظيف للمطبعة. يبدو سبب الفجوات واضحاً: عندما ألغي النشر، توقفت عملية النسخ النظيف.

المسودة التي كانت على الأرجح لدى ماركس لم يتم الحفاظ عليها، والأمر نفسه ينطبق على النسخة المرسلة إلى جامعة يينا وغيرها من النسخ المحتملة. كان لا بد أن تكون نسخة يينا مختلفة إلى حد ما عما كان من المقرر أن يكون عليه الإصدار المنشور. من الواضح أنها لم تتضمن ملحقاً، مما يترتب عليه أنها لا يمكن أن تحتوي أيضاً على مقدمة مماثلة للنسخة المحفوظة، لأن الملحق مذكور فيها. حقيقة أن ماركس إما عدل المقدمة أو كتبها بالكامل في وقت لاحق تظهر أيضاً في الصياغة في بدايتها مباشرة، حيث يقول إن الأطروحة كانت «في الأصل» مخصصة لتكون أطروحة دكتوراه.

بسبب الفجوات، لا يجد القارئ في أطروحة الدكتوراه كل ما أعلنه ماركس في جدول المحتويات. هناك ثلاثة أقسام مفقودة. أحدها هو الملحق نفسه، الذي تناول الدين، وبشكل أكثر تحديداً نقد «بلوتارخوس الخيروني»[1]

المجلد الأول: كتابات من مارس 1841 إلى مارس 1844. شتوتغارت، 1902.

(1) بلوتارخوس (120-46 م): مؤرخ وفيلسوف يوناني من خايرونيا، أشهر أعماله «السِّيَر

لمفاهيم أبيقور عن الدين.

القسمان الآخران يتعلقان بالموضوع الفعلي للأطروحة، أي فلسفة الطبيعة. الأول منهما (الفصل 4.1) كان بعنوان «الفرق المبدئي العام بين فلسفة الطبيعة عند ديموقريطس وأبيقور»، وفقدانه مؤسف بشكل خاص، لأنه يمكن استنتاج من الحواشي المحفوظة المتعلقة به أنه كان يتناول أكثر القضايا الأساسية إثارة للاهتمام في فلسفة الطبيعة الذرية: مفاهيم الوجود وغير الوجود، الفارغ والممتلئ، مشكلة التقسيم اللانهائي للمادة، وغيرها.

ثالثاً، فُقد الفصل الذي كان يأتي مباشرة بعد هذا القسم (5.1)، وكان بعنوان «الخاتمة». ولم تبق أيضاً أي حواشي منه، مما يجعل من الممكن أيضاً أن ماركس لم يكتبه بعد. في هذه الحالة، يجب افتراض أنه لم يكن موجوداً أيضاً في نسخة بينا، وهو ما لا يبدو محتملاً.

سياق الأطروحة والخلفية التاريخية

كان ماركس اقرب للفلسفة منه إلى السياسة [1] اختيار ماركس لدراسة الفلسفة اليونانية المتأخرة، وخاصة الذرية، كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بسياق الصراع الفكري في عصره. كان الهيغليون الشباب، الذين انضم إليهم

المتوازية» (Parallel Lives) الذي يقارن بين الشخصيات اليونانية والرومانية العظيمة، و«الأخلاقيات» (Moralia) مجموعة مقالات فلسفية، كان كاهناً في معبد أبولو بدلفي، أثر على الأدب الأوروبي وألهم شكسبير في كتابة مسرحياته التاريخية.

(1) انظر، ماركس سيرة حياته، ستيبانوفا، ص.39.

ماركس، مهتمين بشكل خاص بالمدارس الفلسفية التي ظهرت بعد العصر الذهبي للفلسفة اليونانية، وبالتحديد الأبيقورية والرواقية والشكية، التي سماها هيغل «فلسفات الوعي الذاتي».

لهذا الاهتمام أسباب متعددة. أولاً، شعر الهيغليون الشباب بأنهم في المرحلة التي أعقبت «الفلسفة الكلية» لهيغل في نفس وضع الفلسفة بعد أرسطو. ثانياً، اعتبروا أن الفلسفات بعد أرسطو تحتوي على العناصر الأساسية للفكر الحديث والعقلانية مثل تنوير القرن الثامن عشر.

بالإضافة إلى ذلك، كان الهيغليون الشباب[1] مهتمين بشكل خاص بالفلسفات التي ركزت على الحرية الفردية التي ظهرت في فترات اضطراب تاريخي، وهو ما رأوا فيها موازياً لحالتهم في ألمانيا التي لم تشهد بعد ثورة سياسية.

في هذا السياق، اختار ماركس دراسة أبيقور، الذي كان موضع تقدير خاص لدى الهيغليين الشباب، وخاصة «برونو باور»[2] وصديق ماركس «كارل

(1) الهيغليين الشباب، وجدوا لدى هيغل إنجيل تآليه الإنسان، تمجيد الفاوستية في أن يصبح الإنسان إلها.انظر، كارل ماركس، روجيه غارودي، ترجمة جورج طرابيشي، ص 22، منشورات دار الأدب لسنة1971.

(2) برونو باور (1809-1882): لاهوتي وفيلسوف ألماني، تلميذ مباشر لهيغل ومن أبرز «الهيغليين الشباب». بدأ مدافعاً عن الأرثوذكسية المسيحية ثم تطور نحو النقد الجذري للدين. أشهر أعماله «نقد يوحنا» (1840) و«المسألة اليهودية» (1843) الذي رد عليه ماركس. فُصل من جامعة بون عام 1842 بسبب آرائه. يُعتبر رائداً في النقد التاريخي للكتاب المقدس.

فريدريش كوبن»[1]. رأى هؤلاء في الأبيقورية فلسفة تحررية تعزز استقلالية الفرد وتحرره من الخوف من التدخل الإلهي، وتوفر أساساً للأخلاق العلمانية.

لكن اهتمام ماركس بالذرية كان له أيضاً بعد آخر. كانت الذرية تمثل تقليداً مادياً قوياً في تاريخ الفلسفة، وكانت محط اهتمام خاص للمفكرين الماديين في تاريخ الفلسفة الغربية مثل «بيكون»[2] و«غاسندي»[3] و«دولباخ»[4]. كانت الذرية ثورية في رفضها للنظرة الغائية للطبيعة التي سادت في الفلسفة الأرسطية التي استمرت في الفلسفة المثالية الألمانية، واستبدلتها بتفسير مادي

---

(1) كارل فريدريش كوبن (1808-1863) فيلسوف ومؤرخ ألماني، وُلد في ألتمارك وتوفي في برلين. كان من أبرز أعضاء حركة «الهيجليين الشباب» الذين طبقوا الفلسفة الهيجلية على النقد الاجتماعي والديني. تأثر به كارل ماركس وفريدريك إنجلز في شبابهما، وكان معروفاً بمواقفه التقدمية ونقده للأرثوذكسية الدينية. رغم قلة شهرته اليوم، لعب دوراً مهماً في تشكيل المناخ الفكري الذي نشأت منه الحركات الفلسفية والسياسية اللاحقة في أوروبا في القرن التاسع عشر.

(2) فرانسيس بيكون (1561-1626): فيلسوف وعالم إنجليزي، رائد المنهج التجريبي الحديث، طور المنهج الاستقرائي في العلوم، اعتبر من مؤسسي الفلسفة التجريبية والمادية الحديثة.

(3) بيير غاسندي (1592-1655): فيلسوف وعالم فلك فرنسي، أحيا الفلسفة الأبيقورية والنظرية الذرية في العصر الحديث، دافع عن المادية الذرية ضد المثالية الديكارتية.

(4) بول هنري دولباخ (1723-1789): فيلسوف فرنسي من عصر التنوير، مادي راديكالي وملحد، ألف كتاب «نظام الطبيعة» الذي يعتبر من أهم النصوص المادية في القرن الثامن عشر.

للعالم يقوم على حركة الذرات في الفراغ.

من جهة أخرى، كانت الذرية تُنظر إليها في الكثير من الأحيان كأساس للمادية الميكانيكية، التي كانت تختزل كل ظواهر العالم إلى حركات آلية للجسيمات المادية وتخضعها لضرورة مطلقة. أراد ماركس أن يظهر كيف يمكن تجاوز هذه الرؤية الميكانيكية للمادية، وكيف قدم أبيقور، من خلال نظريته عن «انحراف الذرة»، مفهوماً أكثر ديناميكية وإبداعية للطبيعة.

المحتوى الفلسفي للأطروحة

يقوم ماركس في أقسام مختلفة من فصلي رسالته بتقييم جوانب مختلفة من فيزياء (فلسفة الطبيعة) ديموقريطس وأبيقور ونتائجها الفلسفية. في الأقسام الثلاثة المتبقية من الفصل الأول، يدرس الاختلاف بين فلسفة الطبيعة عند ديموقريطس وأبيقور من منظور عام.

في القسم الأول، يشرح موضوع الرسالة، وفي القسم الثاني يناقش آراء عدد من المفكرين الذين اتهموا أبيقور بالسرقة الأدبية من فلسفة الطبيعة لديموقريطس، وفي القسم الثالث يتناول المشاكل التي تنشأ إذا اعتُبرت فيزياء ديموقريطس وأبيقور متماثلة من منظور عام.

في الفصل الثاني من الرسالة، يدرس ماركس نفس الاختلاف بين فلسفة الطبيعة للفيلسوفين بالتفصيل.

في القسم الأول، يطرح مسألة انحراف الذرة عن المسار المستقيم

كنقطة مهمة للاختلاف بين فيزياء ديموقريطس وأبيقور، ويحلل هذه الحركة ونتائجها الفلسفية. القسم الثاني مخصص لخصائص الذرة ويتناول التناقض بين مفهوم وجود الذرة. في القسم الثالث، يقدم نقاشاً معقداً حول التمييز بين المبادئ أو الأصول غير القابلة للتجزئة والعناصر غير القابلة للتقسيم.

موضوع القسم الرابع هو الزمن في فلسفة الطبيعة عند ديموقريطس وأبيقور. في هذا القسم، يتناول ماركس التعامل النوعي المختلف لديموقريطس وأبيقور مع مسألة الزمن. خُصص القسم الخامس لدراسة نظرية «النيازك» عند أبيقور، التي يعتبرها ماركس ذات مكانة مهمة في علم الكونيات وفلسفة أبيقور. في الجزء المتبقي من الملحق، ينتقد ماركس جدل بلوتارك ضد لاهوت أبيقور.

من خلال دراسة مثل هذه المواضيع، يوضح ماركس موقفه الفلسفي والنقدي تجاه آراء الفلاسفة بما في ذلك هيغل[1]. من ناحية، يحدد النظرة المادية في كل من ديموقريطس وأبيقور، ولكنه يؤيد النظرة الفيزيائية لأبيقور ونتائجها الفلسفية؛ تأييد يُعتبر ثورياً - على الأقل في مجال الفلسفة [2]. ومن ناحية أخرى، فإن تأييده لأبيقور ليس من جانب واحد، لأنه ينتقده أيضاً

(1) هيجل عالم الفلسفة المطلق يرى أن العقل هو الذي يحكم العالم. انظر. كارل ماركس أو فكر العالم سيرة حياة، جاك أتالي، ترجمة محمد صبح عن الفرنسية، ص.32.

(2) وهكذا يجعل ماركس من الفيلسوف الإغريقي أبيقور رمزاً للحكيم الإغريقي. انظر، كارل ماركس أو فكر العالم سيرة حياة، جاك أتالي، ترجمة محمد صبح عن الفرنسية، ص.55.

بشكل ضمني؛ على سبيل المثال، عندما يعتبر الحرية الإنسانية عند أبيقور في حدود الإدراك الحسي. وأيضاً على الرغم من أنه في دراسة فلسفة الطبيعة عند أبيقور وديموقريطس له نظرة هيغلية واضحة - وهذا واضح حتى في أسلوب كتابة رسالته - إلا أنه يظهر أيضاً موقفه النقدي تجاه هيغل.

الذرية اليونانية القديمة: ديموقريطس وأبيقور

كان محور ثقافة وحضارة اليونان القديمة هو العلاقة بين الإنسان والطبيعة التي ينتج عنها العلم والفلسفة. في مراقبتهم للطبيعة وتغيراتها المستمرة، واجه الفلاسفة مسألتين أساسيتين: كيف ومم صُنعت الطبيعة، وما إذا كانت هناك أسس ثابتة وراء كل هذه التغيرات.

إذا كان الفلاسفة الطبيعيون الأوائل يفسرون العالم من خلال عناصر مثل الماء والنار والهواء والتراب، فإن الذريين كانوا يبحثون عن عنصر أساسي ثابت، غير قابل للفناء وغير قابل للانقسام. وصلوا إلى افتراض وجود الذرة (Atomos)، بمعنى العنصر غير القابل للانقسام، وكيان لا يعتمد وجوده على أي شيء آخر.

يعتبر ديموقريطس (460-370 ق.م.) من أبرز الفلاسفة الذريين في اليونان القديم. اعتقد أنه لا يوجد في العالم الطبيعي سوى الذرات والخلاء. جميع الخصائص التي ينسبها الإنسان للعناصر الطبيعية ناتجة عن العرف وليس لأن مثل هذه الخصائص موجودة في الطبيعة نفسها.

بالنسبة لديموقريطس، الذرات لها نفس الجوهر، لكنها تختلف في الحجم

والشكل والوضع والترتيب. كل اتحاد وترابط بين الذرات يمثل الولادة والحياة، وكل تفكك وانفصال بينها يمثل الموت[1].

في رأي ديموقريطس، بما أن الذرة هي كيان مطلق وأبدي وكل شيء مكون من ذرات، فلا شيء في العالم يُخلق أو يفنى؛ بل كل شيء موجود ويتغير. يعتبر ديموقريطس أن السبب الأول لحركة الذرات وتصادمها هو الدوامة الأولية للوجود والقوة الناتجة عن تصادم الذرات. من هذا المنطلق، يفترض لحركة الذرات سبباً خارجاً عن وجودها.

لا يؤمن ديموقريطس بوجود خطة أو هدف مسبق لحركة الذرات وتغير تركيبها. ويعتبر هذه الحركة والتغير ناتجين عن الضرورة المحضة. لذلك، وفقاً لنظريته الذرية، يمكن تحديد حركة الذرة المستقبلية بشكل قاطع بمعرفة موقعها وسرعتها واتجاهها، لأن حركة الذرة تستند إلى ضرورة لا تقبل الإخلال. عند تطبيق هذا الفكر على ميتافيزيقيا ديموقريطس، لا نصل إلا إلى نتيجة واحدة: أن حياة الإنسان مقيدة بالضرورة المطلقة والمصير والقدر الذي لا مفر منه[2].

(1) نفس المصدر أعلاه.

(2) الفلسفة الديموقريطية كانت بدائية في ماديتها، تفسر كل ظهور من مظهر الكون بجسيمات مادية جامدة، وهي الذرات. وقد ذهب ماركس إلى أن ابيقور اكتشف في الذرة مركزاً للطاقة والقوة، وأن فلسفة أبيقور تتحول إلى نشوء نشوئي عند ديموقريط وتغنيها، فالطبيعة تستعيد حيويتها. كارل ماركس، هنري لوفافر، ترجمة، محمد عيتاني ص87، دار بيروت لطباعة والنشر لسنة 1972.

أبيقور وانحراف الذرة

وصل أبيقور (340-270 ق.م.) بالمادية الذرية اليونانية القديمة إلى ذروتها. يعتقد أبيقور[1] أنه لا يمكن خلق شيء من لا شيء، ولهذا فهو لا يؤمن بنقطة بداية للعالم؛ فالكون موجود دائماً وسيظل موجوداً دائماً. الذرة والخلاء هما وجودان مطلقان لا يعتمد وجودهما على أي شيء آخر، ويتكون الكون كله من هذين العنصرين الأوليين.

يستند أساس فيزياء أبيقور على فيزياء ديموقريطس، لكن نظريته الذرية تختلف عنها في ثلاث نقاط على الأقل، وهذه الاختلافات في فهم الذرة عند الفيلسوفين أدت إلى نتائج فلسفية مختلفة جداً في تفسيرهما للعالم.

النقطة الأولى هي الوزن: أضاف أبيقور الوزن إلى الشكل والحجم للذرات، وعرّفه كعامل أولي لحركة الذرة في الخلاء. بمعنى أن الذرة بسبب وزنها تتحرك في الخلاء بشكل سقوطي في مسار مستقيم. هذه حركة ثابتة ناتجة عن الطبيعة (المادية) للذرة نفسها، وليس لها أي سبب أو ضرورة خارج وجود الذرة.

النقطة الثانية هي انحراف الذرة عن المسار المستقيم: يعتقد أبيقور أن حركة انحراف الذرات عن مسار السقوط المستقيم هي حركة تلقائية وعشوائية تحدث في مكان وزمان غير محدد وبمقدار ضئيل، وتسبب تلاقي

(1) بينما كان هيغل ينظر بشكل سيئ الى أبيقور المادي، فان ماركس، على العكس من ذلك، قد يعجب بالكفاح الجريء الذي عاقبه هذا الفيلسوف والمنور اليوناني القديم ضد الدين والخرافات. انظر، ماركس سيرة حياته، ستيبانوفا، ص.20.

وتنافر الذرات مع بعضها. هذه الحركة ليس لها سبب محدد. بإقراره بعشوائية هذه الحركة، أدخل أبيقور عنصر الصدفة في تفسير العالم المادي ونفى الحتمية المطلقة عند ديموقريطس. باعترافه بحركة انحراف الذرة عن المسار المستقيم، يقر أبيقور بكل من الضرورة والصدفة كمظهرين للواقع.

النقطة الثالثة هي الكيفيات المحسوسة: اعتقد ديموقريطس أن العالم يتكون فقط من الذرات والخلاء، وأن أي كيفية للأشياء مثل الحلاوة والمرارة، أو اللين والصلابة هي نتيجة «العرف» و«الاتفاق» وغير موجودة في الواقع. أما أبيقور فيعتقد أنه رغم أن الذرات المنفردة ليس لها كيفيات محسوسة محددة، إلا أن الأشياء والظواهر الحقيقية التي تنشأ من تركيب العديد من الذرات تكتسب كيفيات محسوسة. بمعنى أن الحلاوة والمرارة، أو اللين والصلابة هي خصائص ذاتية للأشياء والأجسام التي تُدرك بالحواس البشرية.

على أساس هذه الاختلافات، ينفصل النظام الفلسفي لأبيقور عن النظام الفلسفي لديموقريطس، ويتبع ذلك تطوير نظرة فلسفية إنسانية. أبيقور، بفكرة أن حركة الذرة ذاتية ولا تعتمد على أي سبب أو عامل خارج الذرة، يفسر العالم الطبيعي من خلال التنظيم الذاتي.

تحليل ماركس لانحراف الذرة

يتناول ماركس في القسم الأول من الفصل الثاني من رسالته شرح «انحراف الذرة عن المسار المستقيم» في فيزياء أبيقور وبعض نتائجها مقارنة بفيزياء ديموقريطس. يعتبر ماركس أن هذا الانحراف هو أهم اختلاف

فلسفي بين الفيلسوفين، وله نتائج عميقة على فهمهما للكون والإنسان، على أن الذرة هي العنصر الرئيسي للوجود[1].

يبدأ ماركس بافتراض أن ديموقريطس يؤمن بحركتين للذرة، بينما يؤمن أبيقور بثلاث حركات؛ الحركة الثالثة التي يؤمن بها أبيقور هي حركة الانحراف عن المسار المستقيم. ثم يعرض آراء بعض المفكرين الذين انتقدوا وجهة نظر أبيقور حول حركة الذرات، ويكشف عن فهمهم الخاطئ لهذه الحركة، ثم يشرح هذه الحركة وموقعها في فيزياء أبيقور.

في فيزياء أبيقور، يتكون الوجود بأكمله من عنصرين أساسيين ومتناقضين هما الذرة والخلاء. الخلاء هو فضاء تجريدي، وإذا كان الوجود يتحدد بالذرة، فإن الفضاء الفارغ - أو اللاوجود - يصبح هو الخلاء. لكن حركة سقوط الذرة في خط مستقيم هي حركة غير فضائية.

من وجهة نظر ماركس، يعتبر أبيقور أن حركة الذرة في المسار المستقيم ناتجة فقط عن مادية الذرة المحضة. لكن «الوجود المادي المطلق» للذرة يسبب «وجودها النسبي». ذلك لأن الذرة لها صفات وجودية أخرى تتحدد في شكلها المحض (على سبيل المثال، الحجم هو أحد تعينات الشكل المحض للذرة). لتحقيق الوجود المطلق للذرة، يجب نفي الوجود النسبي الناجم عن مادية الذرة من خلال تعارضه مع التعين الآخر للذرة، أي الشكل المحض.

(1) انظر، كارل ماركس أو فكر العالم سيرة حياة، جاك أتالي، ترجمة محمد صبح عن الفرنسية، ص.55.

لكن نفي هذا الوجود النسبي ليس إلا نفي حركة الذرة في المسار المستقيم - أي بمعنى الانحراف عن المسار المستقيم.

حركة الانحراف عن المسار المستقيم هي الشكل الوجودي للوجود المحض والمطلق للذرة، هي تحدث بشكل عفوي وعشوائي. في رأي ماركس، هذه الحركة، التي تسبب تلاقي وتنافر الذرات وتؤدي إلى ظهور الأجسام والظواهر الطبيعية، هي نتيجة التحديد الذاتي للذرة في الحركة. لهذا السبب يسمي ماركس انحراف الذرة عن المسار المستقيم بحركة «التحديد الذاتي». من هذه الحركة يُستنتج التنظيم الذاتي للطبيعة.

من هنا، في فيزياء أبيقور لم تعد هناك ضرورة لأن يُدار العالم الطبيعي ويُوجه من قبل قوة ميتافيزيقية؛ فالطبيعة تنظم نفسها. يؤيد ماركس هذه النظرة برفض رأي الفلاسفة الذين ينتقدون أبيقور لأنه يعتبر حركة انحراف الذرة عن المسار المستقيم بلا سبب، ويرى أن البحث عن سبب لهذه الحركة «بوضوح بلا معنى لمن يعتبر الذرة سبب كل شيء وبالتالي هي نفسها ليس لها سبب».

الذرة عند مفكري الإسلام «المعتزلة»

يكشف تطور الفلسفة الذرية عند مفكري الإسلام «المعتزلة»[1] عن جانب مهم من تاريخ الفكر الإسلامي، حيث تمكن هؤلاء المفكرون من تطوير

(1) المعتزلة: فرقة كلامية إسلامية ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري، تُعرف بـ«أهل العدل والتوحيد»، اشتهرت بالاعتماد على العقل في تأويل النصوص الدينية وتأكيدها على عدالة الله المطلقة وحرية الإرادة الإنسانية.

نظرية كونية متقدمة بطريقة أصيلة رغم اختلافها الجذري عن الفلسفة الذرية المعاصرة أو حتى اليونانية القديمة. وقد وثق المستشرق الألماني «جوزيف فان إس»[1] هذا التطور الفكري بتفصيل دقيق في كتابه القيم «ازدهار علم الكلام في الإسلام»[2]، لم تنشأ هذه الذرية من فراغ، بل نمت من تفاعل معقد بين التقاليد الفكرية المختلفة. فقد وجد المفكرون المسلمون أنفسهم أمام إرث فلسفي متنوع يشمل الأفلاطونية المحدثة والتقاليد الإيرانية والمفاهيم اليونانية القديمة، وكان عليهم اختيار ما يتناسب مع احتياجاتهم اللاهوتية. وهنا تكمن الأصالة الحقيقية للمعتزلة، فبدلاً من تبني النماذج الفلسفية الموجودة كما هي، طوروا مقاربة جديدة تجعل من الذرية خادماً للتوحيد وليس تفسيراً مادياً للكون.

كان «ضرار بن عمرو»[3] أول من وضع الأسس النظرية لهذا التطور

(1) جوزيف فان إس (1934-2021): مستشرق ألماني من أبرز المتخصصين في تاريخ الفكر الإسلامي وعلم الكلام. أستاذ بجامعة توبنغن، له مؤلفات مهمة عن المعتزلة والفرق الإسلامية، ويُعتبر كتابه «ازدهار علم الكلام» من أهم المراجع الحديثة في هذا المجال.

(2) أنجز أخي الأستاذ «هاني هليل» ترجمة هذا الكتاب للعربية في الآونة الأخيرة، وقد كرّس الفصل الثالث بالكامل لدراسة الفلسفة الذرية لدى مفكري الإسلام، خاصة المعتزلة.

(3) ضرار بن عمرو (ت. حوالي 200هـ/815م): متكلم ومفكر من الكوفة، يُعتبر من الرواد الأوائل في تطوير الفكر الفيزيائي في الإسلام. طور نظرية «الأجزاء» التي مهدت الطريق للفكر الذري عند المعتزلة، وكان له تأثير كبير على أبي الهذيل العلاف.

من خلال نظرية الأجزاء التي تركز على الظواهر القابلة للإدراك بدلاً من الجسيمات المادية. لكن «أبا الهذيل العلاف»[1] هو الذي حول هذا المفهوم إلى نظرية ذرية حقيقية تخدم الأهداف اللاهوتية. فالذرات عنده ليست مجرد وحدات مادية تعمل بالصدفة، بل رموز للقدرة الإلهية التي يستخدمها الله في عملية الخلق والتدبير.

واجهت هذه النظرية تحدياً جدياً من «أبو إسحاق النظام»[2] الذي طور مقاربة مختلفة تماماً تعتمد على مفهوم التداخل والمزج بدلاً من الذرات المنفصلة. وقدم النظام حججاً قوية حول استحالة وجود ذرات لها جوانب دون أبعاد، وأثار مشكلات فلسفية عميقة حول طبيعة الحركة والمكان. لكن الذريين لم يستسلموا، بل طوروا نظريتهم لتصبح أكثر تماسكاً من خلال إدخال مفاهيم جديدة مثل اللحظات الزمنية المنفصلة والفراغ داخل الكون.

إن هذا النقاش الفلسفي يكشف عن مستوى متقدم من التفكير النظري

(1) أبو الهذيل العلاف (ت. 235هـ/849م): محمد بن الهذيل العبدي، من أعظم شيوخ المعتزلة في البصرة وأول من طور النظرية الذرية في الفكر الإسلامي بشكل منهجي. حول المفاهيم الفيزيائية لتخدم علم الكلام والتوحيد، وله مناظرات مشهورة مع معاصريه.

(2) أبو إسحاق النظام (ت. 231هـ/845م): إبراهيم بن سيار النظام، متكلم معتزلي بارز وابن أخت أبي الهذيل العلاف. طور نقداً عميقاً للنظرية الذرية وقدم بديلاً فلسفياً يقوم على نظرية «التداخل» و«الطفرة» في الحركة، وكان من أكثر المفكرين أصالة في عصره.

في الحضارة الإسلامية، حيث لم يكتف المفكرون بترديد الأفكار القديمة بل طوروا مناهج أصيلة للتعامل مع أسئلة الوجود والكون. وحتى عندما بدأت هذه النظريات تواجه منافسة من الفلسفة الأرسطية المترجمة، خاصة في أعمال «ابن سينا»[1]، فإنها لم تختف تماماً بل استمرت تؤثر على الفكر الإسلامي بأشكال متنوعة عبر القرون اللاحقة.

الأهمية الفلسفية للأطروحة

تابع ماركس في سن العشرين تعليمه وبحثه في الفلسفة اليونانية بجدية، وفي سن الثالثة والعشرين قدم رسالة دكتوراه غامضة وتجريدية للغاية. ساهم موضوع الرسالة والتقاليد الفلسفية التي درسها ماركس ونقدها في زيادة الطابع التجريدي لها. فهو يتناول آراء الفلاسفة الذريين اليونانيين، الذين حاولوا من خلال التفكير الفلسفي التجريدي المحض خلق نموذج مجرد لتفسير العالم الطبيعي على المستوى الذري.تتمثل الأهمية الفلسفية للأطروحة في عدة جوانب.

(1) ابن سينا (370-428هـ/980-1037م): أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، المعروف في الغرب باسم أفيسينا (Avicenna). فيلسوف وطبيب وعالم موسوعي من بخارى، يُعتبر من أعظم فلاسفة الإسلام وأكثرهم تأثيراً. طور الفلسفة الأرسطية وأدخل عليها تطويرات مهمة، خاصة في الميتافيزيقا ونظرية المعرفة. رفض النظرية الذرية للمتكلمين ودحضها في كتابه «الطبيعيات» من موسوعته «الشفاء»، وكان لفلسفته تأثير كبير على الفكر الإسلامي اللاحق، مما ساهم في تراجع النظريات الذرية الكلامية لصالح الفيزياء الأرسطية.

أولاً، قام ماركس بإعادة تقييم مهمة لفلسفة أبيقور، وأظهر أنها ليست مجرد نسخة مقلدة من فلسفة ديموقريطس، كما كان يُعتقد تقليدياً، بل تحتوي على ابتكارات فلسفية مهمة، خاصة فيما يتعلق بمفهوم انحراف الذرة والصدفة الموضوعية.

ثانياً، قدمت الأطروحة نقداً مهماً للمادية الميكانيكية التي تختزل كل ظواهر العالم إلى حركات آلية للجسيمات المادية وتخضعها لضرورة مطلقة. من خلال تأييده لفيزياء أبيقور، أكد ماركس على أهمية الصدفة والنشاط الداخلي للطبيعة كعناصر لا غنى عنها في فهم العالم المادي.

ثالثاً، يمكن اعتبار أطروحة ماركس خطوة مهمة في تطوير ما سيصبح لاحقاً المادية الجدلية. من خلال تجاوز الثنائية التقليدية بين المادية الميكانيكية والمثالية الفلسفية، وضع ماركس الأساس لفهم مادي للعالم يعترف بتناقضاته الداخلية وتطوره الذاتي.

رابعاً، تناولت الأطروحة قضية فلسفية أساسية هي العلاقة بين الحرية والضرورة. من خلال تحليله لانحراف الذرة، وضح ماركس كيف يمكن للحرية أن تنشأ في عالم مادي دون الحاجة إلى افتراض مبدأ روحي متعالٍ أو إرادة إلهية.

تأثير الأطروحة على تطور فكر ماركس

رغم أن ماركس لم يعد بشكل مباشر إلى موضوع أطروحته في أعماله اللاحقة، فإن الأفكار الأساسية التي طورها فيها ظلت حاضرة في فكره.

استمر ماركس في رفض المادية الميكانيكية والاختزالية في أعماله اللاحقة. في «العائلة المقدسة»[1] (1845)، عاد ماركس إلى نقد «الذرة» كمفهوم مجرد خالٍ من أي خصائص داخلية ونشاط، مؤكداً على نفس النقطة التي أثارها في أطروحته.

أدى نقد ماركس للمادية الميكانيكية والتأكيد على النشاط الداخلي للطبيعة إلى تطوير مفهوم أكثر غنى للمادية في أعماله اللاحقة. في «المخطوطات الاقتصادية-الفلسفية 1844»[2]، طوّر ماركس فهمًا أوضح للطريقة التي يكون بها «التاريخ جزءاً حقيقياً من تاريخ الطبيعة، تطور الطبيعة إلى الإنسان».

على الرغم من أن ماركس انتقل بعد ذلك من دراسة الفلسفة المجردة

(1) العائلة المقدسة (Die heilige Familie): كتاب مشترك لكارل ماركس وفريدريك إنجلز نُشر عام 1845. يوجه نقداً حاداً للهيغليين الشباب، خاصة «برونو باور» وأتباعه الذين سماهم ماركس وإنجلز «العائلة المقدسة» بسخرية. يرفض الكتاب المثالية الفلسفية ويؤكد على المادية التاريخية، ويعتبر خطوة مهمة في تطور الفلسفة الماركسية نحو المادية والنقد الاجتماعي الملموس بدلاً من النقد الفلسفي المجرد.

(2) المخطوطات الاقتصادية الفلسفية (Ökonomisch-philosophische Manuskripte): مخطوطات كتبها ماركس عام 1844 في باريس، تُعرف أيضاً بـ«مخطوطات باريس 1844». تمثل نقطة تحول في فكر ماركس من الفلسفة المجردة نحو النقد الاقتصادي-الاجتماعي. تتناول مفهوم الاغتراب (العمل المغترب)، نقد الاقتصاد السياسي الكلاسيكي، والطبيعة الإنسانية. لم تُنشر في حياته واكتُشفت ونُشرت في القرن العشرين، وتعتبر جسراً مهماً بين أعماله الفلسفية المبكرة ونظريته الاقتصادية اللاحقة.

إلى نقد الاقتصاد السياسي، فإن الأسلوب الجدلي الذي طبقه في أطروحته ظل أساسياً في منهجه. في «رأس المال»[1]، يتعاطف ماركس مع جدلية الكم والنوع عند هيغل - والتي تشمل فكرة التغيير النوعي، «القفزة» - وهي أفكار تتفق مع رؤيته المبكرة عن التطور الديناميكي للطبيعة.

ظل ماركس في أعماله اللاحقة ملتزماً بالرؤية المادية للطبيعة التي تعترف بنشاطها الداخلي وإنتاجيتها. وعلى الرغم من انتقال تركيزه إلى نقد الاقتصاد السياسي، فإن فهمه للعلاقة بين الإنسان والطبيعة ظل متأثراً بأفكاره المبكرة حول الطبيعة كقوة إبداعية.

يظهر مفهوم الصدفة والضرورة الذي طوره ماركس في أطروحته أيضاً في فهمه للتاريخ. في «الجروندريسه»[2] و«رأس المال»، يتحدث ماركس عن

---

(1) رأس المال (Das Kapital): العمل الاقتصادي الرئيسي لكارل ماركس، نُشر في ثلاثة مجلدات (1867، 1885، 1894). يقدم تحليلاً نقدياً شاملاً للنظام الرأسمالي، مغطياً نظرية القيمة، فائض القيمة، تراكم رأس المال، وتناقضات الرأسمالية الداخلية. يعتبر أهم أعمال ماركس وأساس النظرية الاقتصادية الماركسية، وقد أثر بعمق على الفكر الاقتصادي والسياسي الحديث.

(2) الجروندريسه (Grundrisse): اختصار لـ «Grundrisse der Kritik der politischen Ökonomie» (الخطوط العريضة لنقد الاقتصاد السياسي). مخطوطات اقتصادية كتبها ماركس 1857-1858 كدراسات تحضيرية لكتاب «رأس المال». تكشف تطور أفكاره الاقتصادية والفلسفية وتربط بين النظرية الاقتصادية والفلسفة الهيغلية. لم تُنشر في حياته وظلت مجهولة حتى 1939.

ظروف نشأة الرأسمالية كنقطة تقاطع لمسارات تطورية مختلفة ومستقلة نسبياً، مما يعكس فهمه الأبعد من الحتمية المطلقة.

تقييم نقدي للأطروحة

على الرغم من الأهمية الفلسفية لأطروحة ماركس للدكتوراه، فقد تعرضت لانتقادات من باحثين لاحقين، خاصة فيما يتعلق بتفسيره التاريخي للفلسفة الذرية.

لوحظ أن ماركس كان قاسياً بشكل مفرط «بروميثوس»[1] المزاج في تقييمه لديموقريطس. على سبيل المثال، ادعاؤه بأن ديموقريطس وضع الزمن في «الوعي الذاتي للذات الفلسفية» لا يدعمه بأدلة كافية. كما أن نظرية المعرفة عند ديموقريطس ليست متناقضة بشكل ميؤوس منه كما يصورها ماركس.

انتقد بعض المتخصصين في الفلسفة اليونانية القديمة ماركس لقراءته الهيغلية للمصادر القديمة، وإسقاط مفاهيم من الفلسفة الألمانية على نصوص من عصر مختلف تماماً. أن ماركس «كهيغلي حقيقي، يحاول، بعد تشكيل مبدئه الأساسي، تطبيقه بشكل شامل على نظريات كل الفيلسوفين، وهنا يكمن

(1) انظر، التراث الغامض ماركس والماركسيون، سدني هوك، ترجمة. سيد كامل زهران، ص .24 بروميثوس: أحد الآلهة الاسطورية عند الاغريق وينسب له سرقة النار وتعليمها استخدامها في تاريخ الأدب والفكر يستخدم كرمز للإبداع والابتكار والجرأة على تحطيم المألوف من العادات والتقاليد والوضع القائم. وكذلك بروميثوس يحتل في التقويم الفلسفي المكانة الأولى بين القديسين والشهداء.

ضعف الأطروحة من وجهة نظر حديثة».

يرى بعض الباحثين أن ماركس قد بالغ في فهم الدور الفلسفي لانحراف الذرة عند أبيقور. على سبيل المثال، تفسيره للانحراف بأنه شرط لوجود كائنات منفصلة لا يجد دعماً كافياً في النصوص الأبيقورية، ويبدو أكثر ارتباطاً بأجندة ماركس الفلسفية.

على الرغم من هذه الانتقادات، أشاد العديد من الباحثين بإنجاز ماركس في الأطروحة. يلاحظ العديد من المفكرين أن ماركس كان أول من دافع عن فلسفة الطبيعة عند أبيقور، وأظهر أنها كانت أكثر اهتماماً بالإنسان من العالم الطبيعي، وأسست استقلالية الإنسان في أساس الكون.

ماركس فيلسوفاً للطبيعة

على الرغم من أن ماركس عُرف أكثر بمساهماته في تحليل تاريخ البشرية والاقتصاد السياسي، فإن أطروحته للدكتوراه تظهر اهتمامه المبكر بفلسفة الطبيعة. سعى ماركس في أطروحته إلى تجاوز إشكالية الخيارين المتاحين في عصره: من جهة، المادية الميكانيكية التي تختزل كل ظواهر العالم إلى حركات ميكانيكية للذرات وتخضعها لضرورة مطلقة، ومن جهة أخرى، الفلسفة المثالية الألمانية التي تؤكد على الغائية والقصدية في الطبيعة.

وجد ماركس في فلسفة أبيقور، وخاصة في مفهوم انحراف الذرة، إمكانية لتطوير مادية تتجاوز الميكانيكية، وتعترف بالنشاط الداخلي للطبيعة والصدفة الموضوعية، دون الحاجة إلى افتراض مبادئ غائية أو روحية.

اعتبر ماركس أن انحراف الذرة عند أبيقور ليس مجرد تعديلاً عرضياً على نظرية ديموقريطس، بل هو ابتكار فلسفي عميق يجسد «التحديد الذاتي» للمادة، ويقدم أساساً لفهم التنظيم الذاتي للطبيعة. كما أنه يوفر أساساً مادياً للحرية الإنسانية، دون الحاجة إلى الانزلاق إلى المثالية.

تأثير وتلقي الأطروحة في الدراسات اللاحقة

على الرغم من أن أطروحة ماركس للدكتوراه لم تنشر بشكل كامل إلا بعد وفاته بوقت طويل، فقد كان لها تأثير على تفسيرات لاحقة للفلسفة الذرية اليونانية وعلى فهم تطور فكر ماركس نفسه.

أدت أطروحة ماركس، إلى جانب دراسات أخرى، إلى تغيير النظرة إلى أبيقور في الدراسات التاريخية للفلسفة. فبعد أن كان يُنظر إليه تقليدياً ومجرد ناقل لنظرية ديموقريطس، أصبح يُعترف به مفكراً مستقل ومبتكراً، خاصة فيما يتعلق بنظريته عن انحراف الذرة ونقده للحتمية المطلقة. أدت إعادة اكتشاف الأطروحة وتحليلها بشكل أعمق إلى تقديم فهم أكثر تكاملاً لتطور فكر ماركس. بدلاً من رؤية انتقاله من «المثالية» إلى «المادية» كانقطاع حاد، أصبح يُفهم بشكل متزايد على أنه تطور تدريجي كان فيه لأطروحة الدكتوراه دور مهم. في العقود الأخيرة، أصبحت أطروحة ماركس محط اهتمام متجدد من قبل الباحثين المهتمين بالبعد البيئي في فكر ماركس. تجد بعض أفكار ماركس في الأطروحة صدى في بعض الاتجاهات المعاصرة في فلسفة العلم، خاصة تلك التي تنتقد الاختزالية وتؤكد على التنظيم الذاتي للمادة والطبيعة الديناميكية للواقع.

خاتمة

تمثل أطروحة كارل ماركس للدكتوراه «الاختلاف بين فلسفة الطبيعة عند ديموقريطس وأبيقور» مساهمة مهمة ليس فقط في دراسة الفلسفة اليونانية، بل في تطوير فلسفة الطبيعة المادية التي تتجاوز الاختزالية الميكانيكية. من خلال تفسيره لانحراف الذرة عند أبيقور، قدم ماركس رؤية للطبيعة ككل مادي نشط وذاتي التنظيم، تلعب فيه الصدفة دوراً موضوعياً إلى جانب الضرورة.

على الرغم من أن ماركس كان متأثراً بالفلسفة الهيغلية في أسلوب تفكيره وبعض المفاهيم التي استخدمها، فإن أطروحته تُظهر بداية تجاوزه للإطار الهيغلي وتطويره لمادية أكثر تماسكاً وثراءً. تشكل هذه الأطروحة، التي طالما أُهمِلت، جذوراً مهمة للمادية الجدلية التي طورها ماركس في أعماله اللاحقة.

من المهم أن نلاحظ أن العديد من الأفكار التي طورها ماركس في أطروحته تجد صدى في بعض الاتجاهات المعاصرة في فلسفة العلم، خاصة تلك التي تنتقد الاختزالية وتؤكد على الطبيعة الديناميكية والمعقدة للواقع. في عصر يواجه فيه العالم أزمات بيئية متزايدة، يمكن للرؤية التي قدمها ماركس الشاب عن الطبيعة بوصفها كقوة إبداعية ونشطة أن تسهم في تطوير وعي بيئي أكثر عمقاً.

«وموسى هس»[1] مثل كل الذين يعرفون ماركس مفتون بثقافة الشاب

(1) موسى هس (1812-1875) (Moses Hess): فيلسوف وصحفي ألماني يهودي، يُعتبر من رواد الاشتراكية الألمانية. كان صديقاً مقرباً لماركس وإنجلز في فترة الأربعينيات وأثر على تطور أفكارهما الاشتراكية المبكرة. ألف «التاريخ المقدس

ماركس وذكائه الاعتماد عليه بنفسه. في عام 1842، في اليوم الذي يظهر العدد الأول من مجلة «غازيت رينان» يسر هس إلى أحد أصدقائه، وهو «برثولد أورباخ»[1]: «تستطيع أن تتهيأ للقاء الفيلسوف العظيم - وربما الوحيد الحقيقي - في الجيل الحالي ... تخيل «روسو»[2] و«فولتير»[3] و«هولباخ»[4]

للبشرية» (1837) و«فلسفة العمل» (1841). لاحقاً تحول نحو القومية اليهودية وألف «روما والقدس» (1862) الذي يُعتبر من النصوص المبكرة للصَهيونية الاشتراكية. رغم الخلافات اللاحقة، ظل تأثيره واضحاً في الفكر الاشتراكي المبكر.

(1) برثولد أورباخ (1812-1882): كاتب ألماني يهودي، اشتهر بقصصه القروية (Dorfgeschichten) التي صورت حياة الفلاحين في الغابة السوداء. كتب أيضاً «سبينوزا» (1837) رواية عن حياة الفيلسوف. كان من الكتاب الواقعيين الذين صوروا الحياة الاجتماعية الألمانية، وتأثر بالفكر الليبرالي والاجتماعي في عصره.

(2) جان جاك روسو (1712-1778): فيلسوف وكاتب سويسري-فرنسي من رواد عصر التنوير. ألف «العقد الاجتماعي» و«إميل» و«خطاب في عدم المساواة». دعا إلى السيادة الشعبية والديمقراطية المباشرة، وأثر عميقاً على الثورة الفرنسية والفكر السياسي الحديث. تميز بنقده للحضارة والدعوة للعودة إلى الطبيعة والبساطة.

(3) فولتير (فرانسوا ماري أرويه) (1694-1778): كاتب وفيلسوف فرنسي، من أبرز رموز عصر التنوير. اشتهر بدفاعه عن الحرية المدنية والتسامح الديني وحرية التعبير. ألف «كانديد» و«رسائل فلسفية». انتقد الكنيسة الكاثوليكية والاستبداد السياسي، وأثر على الثورة الفرنسية والليبرالية الحديثة.

(4) بول هنري هولباخ (1723-1789): فيلسوف فرنسي-ألماني مادي وملحد، من رواد المادية في عصر التنوير. ألف «نظام الطبيعة» (1770) الذي يُعتبر «إنجيل

و«ليسينغ»[1] و«هاينة»[2] و«هيجل» مجتمعين في شخص واحد - أقول مجتمعين وليسوا متجاورين - فلديك الدكتور ماركس»[3].

إن إعادة اكتشاف أطروحة ماركس للدكتوراه وإعادة تقييمها تقدم فهماً أكثر تكاملاً لفكره ككل، وتساعد في تجاوز التقسيمات المبسطة التي كثيراً ما فُرضت على فكره. كما أنها تذكرنا بأهمية فلسفة الطبيعة في تطوير فهم شامل للعالم والمجتمع، وهو ما يظل تحدياً أساسياً للفكر النقدي في عصرنا الحالي.

رغم فقدان أجزاء من المخطوطة الأصلية وتأخر نشرها، تظل الأطروحة وثيقة مهمة لفهم بدايات مشروع ماركس الفكري. فهي تكشف عن مفكر شاب

الإلحاد». دعا إلى المادية الآلية وأنكر وجود الإله والروح. كان صالونه الأدبي مركزاً لمفكري التنوير الراديكاليين. أثر على الفكر المادي اللاحق.

(1) جوتهولد إفرايم ليسينغ (1729-1781): كاتب مسرحي وناقد وفيلسوف ألماني من عصر التنوير. ألف مسرحيات «ناثان الحكيم» و«إميليا جالوتي». دافع عن التسامح الديني والعقلانية. كتابه «تربية الجنس البشري» يعكس رؤية تقدمية للتاريخ. اعتُبر رائداً للأدب الألماني الحديث والفكر الإنساني.

(2) هاينريش هاينه (1797-1856): شاعر وكاتب ألماني يهودي، من أهم شعراء الرومانسية الألمانية. عاش في المنفى بباريس بسبب آرائه الليبرالية. ألف «كتاب الأغاني» و«ألمانيا: قصة شتوية». جمع بين الشعر الرومانسي والنقد الاجتماعي الحاد. كان صديقاً لماركس في باريس وأثر على تطور نقده للمجتمع الألماني.

(3) انظر، كارل ماركس أو فكر العالم سيرة حياة، جاك أتالي، ترجمة محمد صبح عن الفرنسية، ص.58.

يتعامل بجدية مع الإرث الفلسفي اليوناني ويسعى إلى صياغة فلسفة طبيعة تتجاوز الانقسامات التقليدية بين المادية والمثالية، وبين الضرورة والحرية.

ولعل أبرز ما يميز هذه الأطروحة هو تمكن ماركس، رغم حداثة سنه، من التعامل مع تراث فلسفي ضخم يمتد من العصور اليونانية القديمة إلى عصره، واستخلاص رؤية فلسفية أصيلة ومبتكرة. فقد استطاع، من خلال قراءته النقدية للفيلسوفين الذريين، أن يقدم تفسيراً جديداً للطبيعة يتجاوز الميكانيكية الصارمة للمادية التقليدية، ويؤسس لفهم أكثر ديناميكية وإبداعاً للعالم المادي.

تبقى أطروحة ماركس للدكتوراه، رغم صعوباتها وتعقيداتها، شهادة على عمق تفكيره الفلسفي وسعة اطلاعه وقدرته على التجديد، وهي تستحق اهتماماً اكثر من الباحثين والدارسين الذين يسعون إلى فهم أصول الفكر الماركسي وتطوره، ومن كل المهتمين بالحوار المستمر بين التراث الفلسفي القديم وأسئلة الفلسفة المعاصرة.

من الملاحظ أن هذه الأطروحة المهمة لم تترجم إلى اللغة العربية حتى يومنا هذا، ويبدو أن السبب الرئيسي يكمن في تعقيد الرسالة وطابعها الفلسفي المجرد، فضلاً عن المصطلحات الهيغلية المعقدة التي استخدمها ماركس. هذا النقص في الترجمة العربية يمثل فجوة كبيرة في المكتبة الماركسية العربية، ويحرم القارئ العربي من الاطلاع على جانب مهم من تطور الفكر الماركسي في مراحله المبكرة.

أصرح بذلك دون مبالغة أو حنين للماضي، لم أكن يوماً «ماركسياً» بأي

تفسير لهذا المصطلح. وكتابات ماركس لم تصاحبني في سنوات تكويني المبكرة حتى بلوغي سن النضج، وهو أمر قد يبدو مستغرباً، وأول لقاء حقيقي جمعني به تم خلال مطالعاتي المتأخرة لمؤلفاته، ومن تلك اللحظة لم تفارقني شخصيته ولا إنتاجه الفكري. وكما هو الحال في أي ترجمة وعمل بشري، قد يلاحظ القارئ بعض الأخطاء غير المقصودة سواء في المحتوى أو التحليل، إلا أنني آمل أن أكون قد قدمت للقارئ العربي عملاً يستحق القراءة والاهتمام، يسلط الضوء على جانب مهم من تراث ماركس الفكري الذي يحتاج إلى مزيد من الدراسة والتأمل.

في الختام، أتقدم بعميق الامتنان لكل من ساندني في إنجاز هذا العمل بكل تفاصيله، وأخص بالشكر أستاذي الفلسفة الدكتور «حسين هادي» والدكتور «عدنان المسعودي» اللذين شجعاني وحفزاني على ترجمة الكتاب للعربية، كما أنهما بذلا جهداً كبيراً في الحصول على النسخة الإنجليزية من عمل ماركس، وكذلك أشكر أخي الأستاذ «سعدون هليل» الذي دعمني كثيراً بتوجيهاته العلمية وثقافته الماركسية القيمة، مع مشاعره الصادقة طوال رحلتي في ترجمة الكتاب، لقد حوّل هؤلاء المرشدون الكرام ما بدا مستحيلاً إلى واقع ملموس، وذللوا بحكمتهم كل عقبة واجهتني.

نزار هليل

دالاس - تكساس

USA - 2025

الإهداء

إلى صديقي الأبوي العزيز، المستشار الحكومي السري السيد «لودفيغ فون ويستفالن»[1] في «تريز»[2]، أهدى هذه السطور كعلامة على المحبة .

اعذرني، يا صديقي الأبوي العزيز، إذا وضعت اسمك المحبوب علي، في بداية كتيب غير مهم. أنا غير صبور لانتظار فرصة أخرى لأقدم لك دليلاً صغيراً على محبتي. ليت كل من يشك في الفكرة محظوظين مثلي في إعجابهم

(1) لودفيغ فون ويستفالن (1770-1842): والد زوجته المستقبلية جيني، والذي كان بمثابة أب روحي لماركس، موظف حكومي بروسي ليبرالي. كان مثقفاً واسع الاطلاع ومهتماً بأفكار التنوير والاشتراكية الفرنسية رغم عمله الرسمي للدولة البروسية. كان له تأثير فكري كبير على ماركس الشاب وعرّفه بأفكار «سان سيمون» الاشتراكية. [المترجم]

(2) تريز: مدينة في غرب بروسيا خضعت للسيطرة الفرنسية (1806-1813) حيث انتشرت أفكار الثورة الفرنسية قبل أن تُعاد الإجراءات القمعية. فيها تجاورت عائلتا ويستفالن وماركس، وكان الإهداء المذكور جزءاً من أطروحة ماركس الدكتوراه التي خصها لصديقه الأبوي لودفيغ. [م]

بشيخ شاب القوة، يرحب بكل تقدم لعصرنا بحماس وتعقل حقيقي، وبمثالية عميقة الاقتناع، مشرقة كالشمس، هي وحدها تعرف الكلمة الحقيقية التي تظهر أمامها كل أرواح العالم.لم يتراجع أبداً خائفاً أمام الأشباح التي تلقي بظلالها على طريقنا والتي هي الآن في طريقها للزوال، ولا أمام سماء عصرنا الغائمة المظلمة غالباً، بل كان دائماً قادراً على النظر بقوة إلهية ونظرة رجولية ثابتة عبر كل القشور المتصلبة إلى السماء المشتعلة في قلب العالم. لقد كنت، يا صديقي الأبوي، دائمًا بالنسبة لي برهانًا حيًا مرئيًا على أن المثالية ليست وهمًا، بل حقيقة.

لا داعي لأن أتمنى لك العافية الجسدية، فالروح هي الطبيب الساحر العظيم الذي وثقت به[1].

(1) في الأصل كانت هذه الفقرة: آمل أن أتبع رسول المحبة هذا الذي أرسلته إليك، وأن أعود إلى التجول بجانبك عبر جبالنا وغاباتنا المدهشة الجميلة. لا داعي لأن أتمنى لك العافية الجسدية. فالروح والطبيعة هما الطبيبان العظيمان الساحران اللذان وثقت بهما. - على الهامش الأيسر من هذه الصفحة توجد الكلمات: الإهداء المذكور بجانبه يجب أن يُطبع بخط أكبر. [المؤلف]

تمهيد

كان من الممكن أن يكون أسلوب هذه الدراسة من ناحية أكثر علمية صرامة، ومن ناحية أخرى أقل جمودًا في بعض شروحاتها، لو لم يكن الغرض الأساسي منها هو أن تكون أطروحة دكتوراه. ومع ذلك، فقد حُددت قراري بتقديمها للنشر بهذا الشكل لأسباب خارجية. علاوة على ذلك، أعتقد أنني قد حللت فيها مشكلة لم تُحل حتى الآن في تاريخ الفلسفة اليونانية.

يعلم الخبراء أنه لا توجد أعمال سابقة ذات قيمة عملية حول موضوع هذه الدراسة. فما ثرثر به «شيشرون»[1] و«بلوتارخ»[2] قد أُعيدت ثرثرته حتى يومنا

(1) شيشرون (106-43 ق.م): خطيب وسياسي وفيلسوف روماني مؤثر. لعب دوراً مهماً في الحفاظ على الفلسفة اليونانية ونقلها. كان من أشد منتقدي الفلسفة الإبيقورية وأعماله تعد مصدراً رئيسياً للمعرفة حول الفلسفات القديمة. [م]

(2) بلوتارخ - بلوتارك (120-46 م): كاتب ومؤرخ وفيلسوف يوناني. اشتهر بكتابه «حيوات متوازية» الذي قارن فيه بين شخصيات يونانية ورومانية بارزة، وبمجموعة مقالاته الأخلاقية والفلسفية المعروفة باسم «الأخلاقيات». كان ناقداً للفلسفة الإبيقورية. [م]

هذا. أما «غاسندي»[1]، الذي حرر «إبيقور» من الحظر الذي فرضه عليه آباء الكنيسة والعصور الوسطى بأكملها - عصر اللاعقلانية المتحققة - فإنه يقدم في عروضه جانبًا واحدًا مثيرًا للاهتمام. إنه يسعى للتوفيق بين ضميره الكاثوليكي ومعرفته الوثنية، وبين إبيقور والكنيسة، وهو جهد ضائع بالتأكيد. إنه كمن يريد أن يلقي عباءة راهبة مسيحية على جسد «لايس»[2] اليونانية المزدهر ببهجة. في الحقيقة، يتعلم «غاسندي» الفلسفة من إبيقور أكثر مما يمكنه أن يعلّمنا عن فلسفة إبيقور.

---

(1) غاسندي (1592-1655): فيلسوف وعالم فلك ورياضي فرنسي. كان من أوائل من أعادوا إحياء الفلسفة الإبيقورية في العصر الحديث. حاول التوفيق بين الذرية الإبيقورية والمسيحية، وقدم إسهامات مهمة في تطوير العلم الحديث. [م]

(2) لايس: اسم لعدة نساء جميلات في اليونان القديمة، أشهرهن لايس الكورنثية، وهي عاهرة شهيرة عاشت في القرن الخامس قبل الميلاد. استخدمها ماركس كصورة للجمال والحيوية اليونانية بالمقارنة مع التزمت المسيحي. [م]

ينبغي اعتبار هذه الدراسة مجرد تمهيد لعمل أكبر سأعرض فيه بالتفصيل دورة الفلسفات «الإبيقورية»[1] و«الرواقية»[2] و«الشكية»[3] في علاقتها بالتأمل اليوناني بأكمله. وستزول عيوب هذه الدراسة في الشكل وما شابه ذلك في العمل المقبل.

لقد حدد «هيجل»[4] بدقة الطبيعة العامة للأنظمة المذكورة في مجملها؛ غير أنه في خطته التاريخية للفلسفة المثيرة للإعجاب والجريئة بشكل هائل، والتي يمكن اعتبارها البداية الحقيقية لتاريخ الفلسفة، كان من المستحيل من جهة

---

(1) الإبيقورية: مدرسة فلسفية أسسها إبيقور (341-270 ق.م) في أثينا. تعتمد على نظرية الذرات المستوحاة من ديمقريطس وترى أن الطبيعة تتكون من ذرات وفراغ. هدفها النهائي هو تحقيق السعادة من خلال المتعة خاصة غياب الألم (أتاراكسيا) والخوف وخاصة الخوف من الموت والآلهة.[م]

(2) الرواقية: مدرسة فلسفية أسسها زينون الكيتي (335-263 ق.م). تؤكد على العيش بتناغم مع الطبيعة والعقل الكوني، ممارسة الفضيلة، وقبول ما لا يمكن تغييره. كانت من أهم المدارس الفلسفية في العالم الهليني والروماني، وأثرت بشكل كبير في الفكر اللاحق من أشهرهم: إبيكتيتوس، سينيكا، وماركوس أوريليوس. أثرت على الفكر المسيحي والفلسفة الغربية. [م]

(3) الشكية: مدرسة فلسفية أسسها بيرو (365-275 ق.م)، تعتقد أن المعرفة اليقينية مستحيلة وتدعو إلى تعليق الحكم (إبوخي). هدف الشكاك هو تحقيق أتاراكسيا (هدوء النفس) من خلال الامتناع عن الاعتقاد بأي شيء غير مؤكد. [م]

(4) هيغل (1770-1831): فيلسوف ألماني يعتبر من أهم الفلاسفة في التاريخ الغربي. طور نظاماً فلسفياً شاملاً مبنياً على الجدل وتطور الروح المطلق. كتاباته في تاريخ الفلسفة أثرت بشكل كبير على ماركس. [م]

أن يتعمق في التفاصيل، ومن جهة أخرى، منعت رؤية هذا المفكر العملاق لما أسماه بالتفوق «التأملي» من أن يدرك الأهمية العظيمة لهذه الأنظمة بالنسبة لتاريخ الفلسفة اليونانية والروح اليونانية بشكل عام. هذه الأنظمة هي المفتاح للتاريخ الحقيقي للفلسفة اليونانية. ويمكن العثور على إشارة أعمق حول علاقتها بالحياة اليونانية في مؤلف صديقي «كوبن» [1] «فريدريك العظيم ومعارضوه» [2].

إذا أُضيفت كملحق نقد لجدل «بلوتارخ» ضد لاهوت إبيقور، فذلك لأن هذا الجدل ليس حالة منفردة، بل هو ممثل لنوع معين، حيث يعكس بدقة فائقة علاقة العقل اللاهوتي بالفلسفة.

في النقد، يظل من بين أمور أخرى دون مساس مدى خطأ وجهة نظر بلوتارخ بشكل عام، عندما يجر الفلسفة أمام محكمة الدين. في هذا الصدد، يكفي، بدلًا من كل التأملات، اقتباس من «ديفيد هيوم» [3]: «إنه بالتأكيد نوع

(1) كوبن (1808-1863): صديق لماركس وفيلسوف ألماني ينتمي للهيغليين اليساريين. كتابه «فريدريك العظيم ومعارضوه» الذي أشار إليه ماركس في أطروحته، وناقش فيه علاقة الفلسفة السكندرية بالحياة اليونانية. [م]

(2) فريدريك العظيم (1712-1786): ملك بروسيا من 1740 إلى 1786. كان حاكماً مستنيراً اهتم بالفلسفة والفنون والعلوم وأجرى إصلاحات إدارية وعسكرية مهمة. كان له دور في تشكيل تصورات عصر التنوير حول العلاقة بين السلطة والمعرفة. [م]

(3) ديفيد هيوم (1711-1776): فيلسوف اسكتلندي ومؤرخ واقتصادي. من أهم فلاسفة عصر التنوير وأحد مؤسسي الفلسفة التجريبية الحديثة. اشتهر بشكه المنهجي وبنقده للميتافيزيقا التقليدية والخرافة الدينية. [م]

من الإهانة للفلسفة، عندما تُجبر، التي ينبغي الاعتراف بسلطتها السيادية في كل مكان، على الدفاع عن نتائجها في كل مناسبة وتبرير نفسها أمام كل فن وعلم يعترض عليها. إنه يذكرنا بملك متهم بالخيانة العظمى ضد رعاياه.»

ستظل الفلسفة، طالما ينبض قطرة دم واحدة في قلبها المنتصر على العالم والحر بشكل مطلق، تصرخ دائمًا في وجه خصومها مع إبيقور: «المتدين الحقيقي ليس من ينكر آلهة الكثيرين، بل من ينسب آراء الكثيرين إلى الآلهة.»

الفلسفة لا تخفي ذلك. إن اعتراف «بروميثيوس» [1]:

«بكلمة بسيطة، أكره جميع الآلهة»

[المصدر، إسخيلوس [2]، بروميثيوس المقيد [3]]

هو اعترافها الخاص، وحكمها الخاص ضد جميع الآلهة السماوية والأرضية التي لا تعترف بالوعي الذاتي الإنساني كإله أعلى. لا ينبغي أن يكون

(1) بروميثيوس: شخصية أسطورية إغريقية، أحد الذين سرقوا النار من الآلهة وأعطاها للبشر. عاقبه زيوس بربطه بصخرة حيث كان نسر ينهش كبده يومياً. أصبح رمزاً للتمرد وللمعرفة البشرية ضد السلطة الإلهية. [م]

(2) إسخيلوس (525-456 ق.م): أحد أعظم كتاب المسرح التراجيدي في اليونان القديمة. من أشهر أعماله ثلاثية «الأورستيا» و«حاملات القرابين» و «بروميثيوس المقيد» التي تصور عذاب بروميثيوس بعد تحديه لإله زيوس. [م]

(3) بروميثيوس المقيد: مسرحية تراجيدية كتبها إسخيلوس تروي قصة بروميثيوس بعد أن قيده زيوس بالصخر. تعتبر رمزاً للتوتر بين العقل البشري والسلطة الإلهية، وهي صورة استخدمها ماركس للتعبير عن موقف الفلسفة المتمرد. [م]

هناك إله بجانبه.

أما بالنسبة «لأرانب مارس» [1] البائسة، التي تبتهج بالتدهور الظاهري للمكانة المدنية للفلسفة، فإنها ترد عليهم مرة أخرى بما قاله «بروميثيوس» لخادم الآلهة «هيرمس» [2]:

«اعلم بوضوح، أنني لن أبدل
معاناتي بخدمتك
فأنا أعتقد أنه من الأفضل أن أخدم هذه الصخرة
من أن أكون رسولًا موثوقًا لأبيك زيوس [3].»

«بروميثيوس» هو أبرز قديس وشهيد في تقويم الفلسفة.

برلين، مارس 1841

---

(1) أرانب مارس: تعبير في الثقافة الإنجليزية يشير إلى الأرانب التي تظهر سلوكاً غريباً ومضطرباً خلال موسم التزاوج في شهر مارس/آذار. استخدم ماركس هذا التعبير استعارياً للإشارة إلى المعارضين السطحيين للفلسفة الذين يفرحون بما يعتقدون أنه تراجع مكانتها. اشتهر المصطلح لاحقاً من خلال ظهوره في رواية «أليس في بلاد العجائب» للويس كارول كشخصية مجنونة. [م]

(2) هيرمس: إله في الميثولوجيا اليونانية، ابن زيوس ومايا. كان رسول الآلهة ومرشد الأرواح إلى العالم السفلي. يرمز إلى التواصل، التجارة، اللغة، والذكاء. في مسرحية «بروميثيوس المقيد»، هو الذي ينقل أوامر زيوس إلى بروميثيوس. [م]

(3) زيوس: كبير الآلهة في الميثولوجيا اليونانية وحاكم جبل الأولمبوس. إله السماء والرعد، ويرمز للسلطة الإلهية العليا. في السياق الفلسفي، يمثل غالباً القوة المطلقة التي تتحداها المعرفة البشرية (كما في حالة بروميثيوس). [م]

القسم الأول

الاختلاف بين الفلسفة الديمقريطية وفلسفة إبيقور للطبيعة بشكل عام

1. موضوع الأطروحة.

يبدو أن الفلسفة اليونانية قد واجهت شيئاً لا ينبغي أن تواجهه المأساة الجيدة، ألا وهو نهاية مملة. يبدو أن التاريخ الموضوعي للفلسفة في اليونان ينتهي مع «أرسطو»[1]، «الإسكندر المقدوني»[2] للفلسفة اليونانية، وحتى «الرواقيون» الأقوياء الرجوليون لم ينجحوا في تحقيق ما أنجزه «الإسبرطيون»[3] في معابدهم، أي تقييد أثينا «بهيراكليس»[4] حتى لا تستطيع الهروب.

يُنظر إلى الإبيقوريين والرواقيين والشكاك كإضافة غير لائقة تقريباً لا علاقة لها بمقدماتها القوية. تُعتبر الفلسفة الإبيقورية كمزيج توفيقي لفيزياء

(1) أرسطو (384-322 ق.م): فيلسوف يوناني وتلميذ أفلاطون. من أكثر المفكرين تأثيراً في الفلسفة الغربية. غطت أعماله مجالات متعددة من المنطق والفيزياء إلى الأخلاق والسياسة. اعتبره ماركس نقطة ذروة الفلسفة اليونانية. [م]

(2) الإسكندر المقدوني (356-323 ق.م): ملك مقدونيا وأحد أعظم القادة العسكريين في التاريخ. تلميذ أرسطو، أنشأ إمبراطورية امتدت من اليونان إلى الهند. استخدم ماركس مقارنة أرسطو بالإسكندر لتوضيح فكرة بلوغ الذروة والتوسع. [م]

(3) الإسبرطيون: سكان مدينة-دولة إسبرطة في اليونان القديمة، اشتهروا بنظامهم العسكري الصارم وثقافتهم المحافظة. كانوا يعبدون آلهتهم بطريقة عملية، وهو ما أشار إليه ماركس في مقارنته بين الفلسفة والدين. [م]

(4) هيراكليس (هرقل): بطل إغريقي أسطوري، ابن زيوس من امرأة فانية. اشتهر بقوته الخارقة وبأعماله الإثني عشر. تم تأليهه بعد وفاته. استخدم ماركس الإشارة إلى هيراكليس وأثينا كرمز للعلاقة بين القوة والحكمة. [م]

ديمقريطس وأخلاق «القورينائيين»[1]؛ والرواقية كمركب من تأملات «هيراقليطس»[2] في الطبيعة والنظرة الكلبية-الأخلاقية للعالم، إلى جانب بعض المنطق الأرسطي؛ وأخيراً الشكية كشر ضروري يواجه هذه المذاهب العقائدية. ترتبط هذه الفلسفات بشكل غير واعٍ بالفلسفة الإسكندرية من خلال جعلها انتقائية أحادية ومتحيزة. أما الفلسفة الإسكندرية فيُنظر إليها أخيراً بالكامل كتمجيد واضطراب - خلط لا يمكن أن يُعترف فيه في أحسن الأحوال إلا بشمولية النية.

بالتأكيد، من البديهي أن الولادة والازدهار والانحدار تشكل الدائرة الحديدية التي يُحاط بها كل ما هو إنساني، والتي يجب أن يمر بها. لذلك لم يكن من المدهش لو أن الفلسفة اليونانية، بعد أن وصلت إلى ذروتها مع أرسطو، قد ذبلت بعد ذلك. لكن موت البطل يشبه غروب الشمس، وليس انفجار ضفدع منتفخ.

ثم: الولادة والازدهار والانحدار هي مفاهيم عامة للغاية وغامضة يمكن بالتأكيد ترتيب كل شيء تحتها، ولكن من خلالها لا يمكن فهم أي شيء. إن الانحدار نفسه مرسوم مسبقاً في الحياة؛ لذا ينبغي أن يُفهم شكله في

(1) القورينائيون: أتباع مدرسة فلسفية أسسها أريستيبوس القوريني (435-356 ق.م). ركزت على المتعة الحسية المباشرة كأعلى خير، وتعتبر سلفاً للفلسفة الإبيقورية رغم اختلافها معها في تعريف المتعة وطبيعتها.[م]

(2) هيراقليطس (535-475 ق.م): فيلسوف يوناني قبل سقراطي. آمن بالتغير المستمر والصراع بين الأضداد كأساس للوجود. أثرت فلسفته على الفلسفة الرواقية اللاحقة. [م]

خصائصه المحددة بقدر ما يمكن فهم شكل الحياة.

أخيراً، عندما نلقي نظرة على التاريخ، هل الإبيقورية والرواقية والشكية ظواهر خاصة؟ أليست هي النماذج الأولية للعقل الروماني، الشكل الذي هاجرت به اليونان إلى روما؟ أليس جوهرها مليئاً بالشخصية، شديد العمق وأبدي لدرجة أن العالم الحديث نفسه اضطر إلى منحها المواطنة الروحية الكاملة؟

أؤكد على هذا فقط لاستدعاء الذهن إلى الأهمية التاريخية لهذه الأنظمة. لكننا هنا لسنا معنيين على الإطلاق بأهميتها للثقافة بشكل عام، بل بصلتها بالفلسفة اليونانية الأقدم.

ألا ينبغي أن تحثنا هذه العلاقة على الأقل إلى إجراء تحقيق، لنرى الفلسفة اليونانية تنتهي بمجموعتين مختلفتين من الأنظمة الانتقائية، إحداهما دورة الفلسفة الإبيقورية والرواقية والشكية، والأخرى مصنفة تحت الاسم الجماعي للتأملات الإسكندرية؟ علاوة على ذلك، أليس من الملحوظ أنه بعد الفلسفات الأفلاطونية والأرسطية، التي تتميز بنطاقها الشامل، تظهر أنظمة جديدة لا تستند إلى هذه الأشكال الفكرية الغنية، بل تنظر إلى الخلف وتلجأ إلى أبسط المدارس - إلى فلاسفة الطبيعة فيما يتعلق بالفيزياء، وإلى المدرسة السقراطية فيما يتعلق بالأخلاق؟

علاوة على ذلك، ما هو السبب في أن الأنظمة التي تلي أرسطو تجد أسسها كما لو كانت جاهزة في الماضي، لماذا يرتبط ديمقريطس «بالقورينائيين»

وهيراقليطس «بالكلبيين»؟[1] هل هي صدفة أنه مع الإبيقوريين والرواقيين والشكاك تُمثَّل جميع لحظات الوعي الذاتي بشكل كامل، ولكن كل لحظة كوجود خاص؟ هل هي صدفة أن هذه الأنظمة في مجملها تشكل البنية الكاملة للوعي الذاتي؟ وأخيراً، الشخصية التي بدأت بها الفلسفة اليونانية أسطورياً في الحكماء السبعة، والتي تجسدت كما لو كانت نقطة مركزية في سقراط كصانعها - أعني شخصية الحكيم، «السوفوس»[2] - هل هي صدفة أن يتم تأكيدها في تلك الأنظمة كواقع للعلم الحقيقي؟

يبدو لي أنه على الرغم من أن الأنظمة السابقة أكثر أهمية وإثارة للاهتمام من حيث المحتوى، فإن الأنظمة التي تلي أرسطو، وخاصة دورة المدارس الإبيقورية والرواقية والشكية، هي أكثر أهمية وإثارة للاهتمام من حيث الشكل الذاتي، أي شخصية الفلسفة اليونانية. ولكن بالتحديد الشكل الذاتي، الحامل الروحي للأنظمة الفلسفية، قد تم تجاهله حتى الآن تقريباً بالكامل لصالح خصائصها الميتافيزيقية.

سأترك لمناقشة أكثر تفصيلاً تقديم الفلسفات الإبيقورية والرواقية

(1) الكلبيون: مدرسة فلسفية أسسها أنتيستينيس (445-365 ق.م)، تلميذ سقراط. تميزوا برفض المعايير الاجتماعية والبحث عن حياة بسيطة وفقاً للطبيعة. من أشهر أتباعها ديوجينيس الكلبي. أثروا على تطور الفلسفة الرواقية. [م]

(2) السوفوس: كلمة يونانية تعني «الحكيم»، استخدمت كلقب للحكماء المبكرين في اليونان. الحكماء السبعة المشهورون اعتبروا تجسيداً للحكمة العملية قبل ظهور الفلسفة النظرية. [م]

والشكية ككل وفي علاقتها الكلية بالتأملات اليونانية السابقة واللاحقة.

ليكن كافياً هنا تطوير هذه العلاقة كما لو كانت بمثال، وفي جانب واحد فقط، أي علاقتها بالتأمل السابق. كمثال على ذلك، أختار العلاقة بين فلسفة الطبيعة الإبيقورية وفلسفة الطبيعة الديمقريطية. لا أعتقد أنها نقطة التواصل الأكثر ملاءمة. في الواقع، من ناحية هناك تحيز قديم وراسخ لتحديد الفيزياء الديمقريطية والإبيقورية، بحيث يُنظر إلى تعديلات إبيقور على أنها مجرد نزوات تعسفية. ومن ناحية أخرى، أنا مضطر للدخول في فحوصات تبدو مجهرية فيما يتعلق بالتفاصيل. ولكن بالضبط لأن هذا التحيز قديم بقدم تاريخ الفلسفة، ولأن الاختلافات مخفية لدرجة أنه يمكن اكتشافها كما لو كانت بالمجهر فقط، سيكون من المهم للغاية إذا كان بالإمكان، على الرغم من الترابط بين الفيزياء الديمقريطية والإبيقورية، إظهار اختلاف جوهري يمتد إلى أدق التفاصيل. ما يمكن إثباته في الصغير يمكن إظهاره بسهولة أكبر عندما تُعتبر العلاقات في أبعاد أكبر، بينما على العكس من ذلك، فإن الاعتبارات العامة جداً تترك الشك فيما إذا كانت النتيجة ستصمد عند تطبيقها على التفاصيل.

2. آراء حول العلاقة بين الفيزياء الديمقريطية والإبيقورية

ستصبح الطريقة التي ترتبط بها وجهة نظري العامة بوجهات النظر السابقة واضحة تماماً إذا تم إجراء مراجعة موجزة للآراء التي يحملها المؤلفون القدماء بخصوص العلاقة بين الفيزياء الديمقريطية والإبيقورية.

«يوبخ بوسيدونيوس»[1] الرواقي «نيكولاوس»[2] و«سوتيون»[3] إبيقور على تقديم عقيدة ديمقريطس عن الذرات وتعاليم «أريستيبوس»[4] عن المتعة على أنها خاصة به[5].

(1) بوسيدونيوس (135-51 ق.م): فيلسوف ومؤرخ وجغرافي وفلكي يوناني ستويكي من مدينة أباميا. كان له تأثير كبير على المفكرين الرومان مثل شيشرون وسينيكا. انتقد الفلسفة الإبيقورية.[م]

(2) نيكولاوس: مؤرخ وفيلسوف يوناني من دمشق (64 ق.م-16 م). كان صديقاً للملك هيرودس وأغسطس القيصر. كُتبه في التاريخ والفلسفة كانت مصادر للكتابات اللاحقة عن الفلسفة الإبيقورية.[م]

(3) سوتيون: مؤرخ للفلسفة من الإسكندرية عاش حوالي 200-170 ق.م. كتب «خلافة الفلاسفة» وهو مصدر مهم للمعلومات عن فلاسفة اليونان القدماء، وخاصة نقده للإبيقورية. [م]

(4) أريستيبوس (435-356 ق.م): مؤسس المدرسة القورينائية وتلميذ سقراط. دعا إلى المتعة الحسية المباشرة كأعلى خير، مع التحكم بالذات. اتهم إبيقور باقتباس نظريته الأخلاقية عنه. [م]

(5) ديوجينيس لايرتيوس، 10، 4. يتبعهم بوسيدونيوس الرواقي ومدرسته، ونيكولاوس

ويسأل «كوتا»[1] الأكاديمي في كتاب شيشرون: «ما الذي في فيزياء إبيقور لا ينتمي إلى ديمقريطس؟ صحيح، إنه يعدل بعض التفاصيل، لكن معظمها يكرره بعده»[2]. يقول شيشرون نفسه على نحو مماثل: «في الفيزياء، حيث هو أكثر غطرسة، إبيقور غريب تمام الغرابة. معظمها ينتمي إلى ديمقريطس؛ حيث ينحرف عنه، حيث يسعى إلى تحسينه، يفسده ويجعله أسوأ»[3].

على الرغم من أن العديد من المؤلفين يوبخون إبيقور بسبب الافتراءات

وسوتيون... [يزعمون] إن (أبيقور) أخذ آراء ديمقريطس عن الذرات وآراء أرستيبوس حول اللذة، وادّعى أنها آراؤه الخاصة». [المؤلف]

(1) كوتا: كايوس أوريليوس كوتا، سياسي وخطيب روماني (124-73 ق.م). ظهر في محاورة شيشرون «عن طبيعة الآلهة» كممثل للشكية الأكاديمية منتقداً للآراء الإبيقورية والرواقية عن الآلهة.م]

(2) شيشرون، عن «طبيعة الآلهة» 1, 26. «ما الذي يوجد في فيزياء أبيقور لا يعود إلى ديمقريطس؟ فعلى الرغم من أنه غيّر بعض الأشياء... إلا أنه في معظم الأحيان يقول نفس الشيء». [المؤلف]

(3) نفس المصدر، عن الخيرات والشرور العليا، 1، 21. هكذا عندما يغير إبيقور عقائد ديمقريطس، فإنه يغيرها إلى الأسوأ؛ بينما بالنسبة لتلك الأفكار التي يتبناها، فإن الفضل يعود بالكامل إلى ديمقريطس.... نفس المصدر. [17، 18]... موضوع الفلسفة الطبيعية، الذي هو مفخرة إبيقور الخاصة. هنا، في المقام الأول، هو بالكامل من الدرجة الثانية. عقائده هي عقائد ديمقريطس، مع تعديلات قليلة للغاية. وأما بالنسبة للأخيرة، حيث يحاول تحسين الأصل، في رأيي ينجح فقط في جعل الأمور أسوأ.... إبيقور من جانبه، حيث يتبع ديمقريطس، لا يتعثر عموماً.[المؤلف]

ضد ديمقريطس، فإن «ليونتيوس»[1]، وفقاً لبلوتارخ، يؤكد على العكس من ذلك أن إبيقور كرّم ديمقريطس لأن الأخير التزم بالعقيدة الحقيقية قبله، لأنه اكتشف مبادئ الطبيعة في وقت سابق[2]. في مقال «De placitis philosophorum» يُطلق على إبيقور واحد يتفلسف على طريقة ديمقريطس[3]. بلوتارخ في «كتابه كولوتيس» يذهب إلى أبعد من ذلك. مقارناً إبيقور تباعاً مع «ديمقريطس»

(1) ليونتيوس: تلميذ إبيقوري، دافع عن إبيقور ضد الاتهامات بأنه سرق أفكاره من ديمقريطس. أكد أن إبيقور كان يحترم ديمقريطس لكنه طور مذهبه الخاص. [م]

(2) بلوتارخ، «الرد على كولوتيس» (نشره زيلاندر)، 1108. ليونتيوس. يقول: إن أبيقور أبدى احتراماً لديمقريطس لأنه سبقه إلى المعرفة الصحيحة... لأنه اكتشف مبادئ الطبيعة قبله. [المؤلف]

(3) (المصدر نفسه)، عن آراء الفلاسفة، المجلد 5, 235 نشرته «دار تاوكنيتز». إبيقور ابن نيوكليس، من أثينا، الذي تفلسف وفقاً لديمقريطس.[المؤلف]

«إمبيدوقليس»[1] «بارمنيدس»[2] «أفلاطون»[3] «سقراط»[4] «ستيلبو»[5]، القورينائيين والأكاديميين، يسعى إلى إثبات أن «إبيقور استولى من الفلسفة اليونانية بأكملها على الباطل ولم يفهم الحق»[6]. وبالمثل، فإن رسالة «De eo, quod secundum Epicurum non beats vivi possit»[7] مليئة

---

(1) إمبيدوقليس (490-430 ق.م): فيلسوف يوناني قبل سقراطي من أكراغاس، صقلية. اعتقد أن العالم يتكون من أربعة عناصر (الماء، الهواء، النار، التراب) تتفاعل عبر قوتي الحب والكراهية. انتقده بلوتارخ مقارناً بإبيقور.[م]

(2) بارمنيدس (515-450 ق.م): فيلسوف يوناني قبل سقراطي من إيليا. أسس المدرسة الإيلية وقدم أول حجة منطقية مفصلة في الفلسفة الغربية. رأى أن الحقيقة النهائية هي الوجود الواحد الثابت غير المتغير، وأن التغير والتعدد وهم. [م]

(3) أفلاطون (427-347 ق.م): من أعظم الفلاسفة في التاريخ وتلميذ سقراط. أسس الأكاديمية في أثينا وكتب محاورات فلسفية تناولت قضايا المعرفة، الأخلاق، السياسة، والميتافيزيقا. طور نظرية المُثُل وكان معلماً لأرسطو. [م]

(4) سقراط (470-399 ق.م): فيلسوف يوناني يعتبر من مؤسسي الفلسفة الغربية. لم يترك كتابات، ومعرفتنا عنه تأتي أساساً من تلاميذه، خاصة أفلاطون. طور طريقة الحوار السقراطي للوصول إلى المعرفة.[م]

(5) ستيلبو (360-280 ق.م): فيلسوف يوناني من مدرسة ميغارا. اشتهر بمهاراته الجدلية وتأثيره على الرواقية المبكرة. قارنه بلوتارخ بإبيقور في نقده للفلسفة الإبيقورية.[م]

(6) المصدر نفسه، «الرد على كولوتيس» 1111، 1112، 1114 . [المؤلف]

(7) عنوان رسالة باللاتينية كتبها بلوتارخ (46-120م تقريبًا) وتعني «استحالة العيش بسعادة وفقًا لإبيقور». تمثل هذه الرسالة جزءًا من سلسلة مؤلفات كتبها بلوتارخ في

بتلميحات عدائية مماثلة. نجد في آباء الكنيسة هذا الرأي غير المواتي، الذي يحمله المؤلفون الأقدم، مستمراً. في الملاحظة أقتبس فقط مقطعاً واحداً من كليمنت[1] الإسكندري[2]، وهو أحد آباء الكنيسة الذي يستحق أن يذكر بشكل بارز فيما يتعلق بإبيقور، لأنه يعيد تفسير تحذير الرسول بولس من الفلسفة بشكل عام إلى تحذير من الفلسفة الإبيقورية، كواحدة لم تتخيل حتى خيالات بشأن العناية الإلهية وما شابه ذلك[3]. لكن مدى شيوع الميل إلى اتهام إبيقور بالسرقة الأدبية

مناهضة الفلسفة الإبيقورية، منتقدًا فيها نظرية إبيقور حول اللذة والسعادة. تندرج ضمن الأعمال الجدلية التي أشارت إليها رسالة ماركس في مقدمة أطروحته عن الفلسفة الإبيقورية، حيث اعتبر جدل بلوتارخ مثالًا على العلاقة المتوترة بين العقل اللاهوتي والفلسفة. [م]

(1) كليمنت الإسكندري (150-215 م): من آباء الكنيسة المسيحية المبكرين. سعى للتوفيق بين المسيحية والفلسفة اليونانية. انتقد الفلسفة الإبيقورية بشدة معتبراً إياها منافية للتعاليم المسيحية. م

(2) كليمنت الإسكندري، «المتنوعات» ص. 629، طبعة كولونيا. «بل إن أبيقور أيضاً سرق العقائد الرئيسية من ديمقريطس».. [المؤلف]

(3) كليمنت الإسكندري،، ص. 295. «احذروا أن يسلبكم أحد بالفلسفة وخداع باطل، حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم وليس حسب المسيح» [كول 2: 8] لا يقصد هنا كل الفلسفة، بل الإبيقورية، التي ذكرها بولس في أعمال الرسل [أعمال 17: 18]، التي تلغي العناية الإلهية. وأي فلسفة أخرى تكرم العناصر، لكن لا تضع فوقها السبب الفعّال، دون أن تدرك خالقاً. [المؤلف]

يُظهره بشكل أكثر إثارة «سكستوس إمبيريكوس»[1]، الذي يرغب في تحويل بعض المقاطع غير المناسبة تماماً من «هوميروس»[2] و«إبيخارموس»[3] إلى مصادر رئيسية للفلسفة الإبيقورية[4].

من المعروف أن الكتّاب الأكثر حداثة بشكل عام يجعلون من إبيقور، بقدر ما كان فيلسوفاً للطبيعة، مجرد سارق من ديمقريطس. قد يمثل البيان التالي «لليبنتز» رأيهم العام: «عن هذا الرجل العظيم «ديمقريطس» نحن لا

(1) سكستوس إمبيريكوس (160-210 م): طبيب وفيلسوف يوناني، من أهم ممثلي الشكية البيرونية. كتاباته «ضد الرياضيين» و«الخطوط العريضة للبيرونية» مصدر رئيسي لمعرفتنا بالفلسفة الشكية والفلسفات القديمة. [م]

(2) هوميروس: شاعر ملحمي يوناني (القرن الثامن ق.م) يُنسب إليه تأليف الإلياذة والأوديسة. تضمنت أعماله إشارات اعتبرها بعض النقاد مصدراً لأفكار إبيقور، رغم أن هذا الاتهام كان غير عادل. [م]

(3) إبيخارموس (550-460 ق.م): كاتب كوميدي يوناني من صقلية، اعتبره سكستوس إمبيريكوس مصدراً مزعوماً لبعض أفكار إبيقور. تضمنت مسرحياته حكماً فلسفية مثل «الموت لا يعنيني». [م]

(4) سكستوس إمبيريكوس، ضد الرياضيين (ص. 54) (طبعة كولونيا). «قد ثبت أن أبيقور اختطف أقوى عقائده من الشعراء: فقد أخذ حد عظمة اللذات، وهو إزالة كل ألم، من بيت شعر واحد كما أُظهر: «ولكن عندما أشبعوا رغبتهم في الشراب والطعام». وفكرة أن الموت ليس شيئاً بالنسبة لنا، قد أشار بها إليه إبيخارموس قائلاً: «أن أموت أو أكون ميتاً لا يهمني». وبالمثل، فكرة أن الأجساد الميتة لا تحس، سرقها من هوميروس الذي كتب: «فإنه يسيء بغضب إلى الأرض الصماء»». [المؤلف]

نعرف شيئاً تقريباً سوى ما اقتبسه إبيقور منه، ولم يكن إبيقور قادراً دائماً على أخذ الأفضل»[1].

وهكذا بينما يقول شيشرون إن إبيقور أفسد مذهب ديمقريطس، وفي الوقت نفسه ينسب إليه على الأقل الرغبة في تحسينه ومعرفة عيوبه، وبينما ينسب إليه بلوتارخ عدم الاتساق[2] وميل مسبق نحو الأدنى، وبالتالي يلقي الشك أيضاً على نواياه، ينكر «ليبنتز» عليه حتى القدرة على اقتباس مهارة من ديمقريطس. لكن الجميع متفقون على أن إبيقور استعار فيزياءه من ديمقريطس.

---

(1) رسالة «لايبنتز» إلى السيد «دي ميزو»، تحتوي على بعض التوضيحات. الأعمال الكاملة، ط. إل. دوتنز، المجلد 2، ص 66-67. [المؤلف]

(2) بلوتارخوس، ضد كولوتيس [A]" .1111 A-B يجب لوم ديمقريطس، ليس لأنه يتمسك أيضاً بالاستنتاجات المترتبة على مبادئه الأولية، ولكن لأنه تبنى مبادئ تؤدي إلى هذه الاستنتاجات...

[B] وإذا كان إنكار [الاستنتاجات] من هذا النوع [وقع في رأي بلوتارخوس]، ألا يمكن لـ(أبيقور) أن يعترف بأنه يفعل شيئاً اعتاد عليه بالفعل. فهو ينكر العناية الإلهية، لكنه يقول إنه يُبقي على عبادة الآلهة؛ ويسعى إلى الصداقة من أجل المتعة، لكنه يقول إنه مستعد لتحمل أشد الآلام من أجل أصدقائه. وأيضاً، هو يعتبر الكون لا نهائياً، لكنه لا ينكر وجود الأعلى والأسفل». [المؤلف]

3. صعوبات تتعلق بتطابق الفلسفة الديمقريطية والإبيقورية للطبيعة.

بعيداً عن الشهادات التاريخية، هناك أدلة أخرى كثيرة على تطابق الفيزياء الديمقريطية والإبيقورية. المبادئ - الذرات والفراغ - هي بلا شك نفسها. فقط في حالات معزولة يبدو أن هناك اختلافاً تعسفياً، وبالتالي غير أساسي.

ومع ذلك، يبقى لغز غريب ومستعصٍ. فيلسوفان يعلمان نفس العلم بالضبط، بنفس الطريقة تماماً، ولكن - كم هو متناقض! - يقفان متعارضين قطرياً في كل ما يتعلق بالحقيقة واليقين وتطبيق هذا العلم، وكل ما يشير إلى العلاقة بين الفكر والواقع بشكل عام. أقول إنهما يقفان متعارضين قطرياً، وسأحاول الآن إثبات ذلك.

A. يبدو أن رأي ديمقريطس بخصوص حقيقة ويقين المعرفة البشرية صعب التحديد. توجد مقاطع متناقضة، أو بالأحرى ليست المقاطع، بل آراء ديمقريطس هي التي تتناقض مع بعضها البعض. لأن تأكيد «ترينديلنبورغ»[1] في تعليقه على علم النفس الأرسطي، أنه فقط المؤلفون اللاحقون، وليس أرسطو، عرفوا مثل هذه التناقضات، هو غير صحيح من الناحية الواقعية. في الواقع، في كتاب أرسطو «علم النفس» ذُكر: «ديمقريطس يضع الروح

(1) ترينديلنبورغ (1802-1872): فيلسوف ألماني وعالم منطق، قدم تعليقات مهمة على كتابات أرسطو، خاصة حول علم النفس. انتقد فلسفة هيغل وكان له تأثير على الفلسفة الألمانية في القرن التاسع عشر. [م]

والعقل كشيء واحد ونفسه، لأن الظاهرة هي الشيء الحقيقي.» [1] لكن في كتابه «الميتافيزيقا» يكتب: «ديمقريطس يؤكد أنه لا شيء حقيقي أو أنه مخفي عنا.»[2] أليست هذه المقاطع من أرسطو متناقضة؟ إذا كانت الظاهرة هي الشيء الحقيقي، فكيف يمكن أن يكون الشيء الحقيقي مخفياً؟ الإخفاء يبدأ فقط عندما ينفصل المظهر والحقيقة.

ولكن «ديوجينيس لايرتيوس»[3] يذكر أن ديمقريطس كان يُعد من الشكاك. ويُقتبس قوله: «في الواقع نحن لا نعرف شيئاً، لأن الحقيقة تكمن في

(1) أرسطو، عن الروح، 1، ص 8 (نشره تريندلينبورغ) [2، 404 (هوميروس، الإلياذة 1، 469)، 27-29]. ديمقريطس يعرّف الروح والعقل بشكل صريح لأنه يعرّف ما يظهر بما هو حقيقي.[المؤلف]

(2) أرسطو، عن الميتافيزيقا، 5، 1009،4. وهذا هو السبب في أن ديمقريطس، على أي حال، يقول إما أنه لا توجد حقيقة أو أنها على الأقل ليست واضحة لنا. وبشكل عام فإن السبب هو أنهم [أي هؤلاء المفكرين] يفترضون أن المعرفة هي الإحساس، وهذا هو تغيير فيزيائي، وأنهم يقولون إن ما يظهر لحواسنا يجب أن يكون صحيحاً؛ لأنه لهذه الأسباب وقع كل من إمبيدوقليس وديمقريطس، وتقريباً جميع الآخرين، ضحايا لآراء من هذا النوع. لأن إمبيدوقليس يقول إنه عندما يغير الناس حالتهم، فإنهم يغيرون معرفتهم. بالمناسبة، يُعبر عن التناقض في هذا المقطع من الميتافيزيقا نفسه. [المؤلف]

(3) ديوجينيس لايرتيوس(القرن الثالث م): مؤرخ يوناني للفلسفة، مؤلف كتاب «حياة وآراء الفلاسفة المشهورين» الذي يعد مصدراً رئيسياً لمعرفتنا بالفلسفة اليونانية القديمة، خاصة الإبيقورية. [م]

قاع البئر العميق.»[1] توجد عبارات مماثلة عند «سكستوس[2] إمبيريكوس»[3].

هذه النظرة الشكية، غير المؤكدة والمتناقضة داخلياً التي يتبناها ديمقريطس هي فقط تطوير إضافي للطريقة التي يتم بها تحديد العلاقة بين الذرة والعالم الذي يظهر للحواس.

المظهر الحسي، من ناحية، لا ينتمي إلى الذرات نفسها. إنه ليس ظهوراً موضوعياً، بل مظهر ذاتي. «المبادئ الحقيقية هي الذرات والفراغ، وكل شيء آخر هو رأي، مظهر[4].» «البارد موجود فقط وفقاً للرأي، الحار موجود فقط وفقاً للرأي، لكن في الواقع لا يوجد سوى الذرات والفراغ [5].» الوحدة،

(1) ديوجينيس لايرتيوس، 72، 9. علاوة على ذلك، فإنهم يجدون «زينوفانيس»و«زينون الإيلي»، و«ديمقريطس» من الشكاكين. ديمقريطس يقول: «في الحقيقة نحن لا نعرف شيئاً، لأن الحقيقة مختبئة في الأعماق.» [المؤلف]

(2) سكستوس إمبيريكوس (210-160 م): فيلسوف شكاك وطبيب يوناني، مؤلف كتاب «ضد الأساتذة» و«الخطوط العريضة للشكية»، وهما مصدران أساسيان للفلسفة الشكية ونقدها للمعرفة.]م]

(3) انظر. ريتر،هـ : تاريخ الفلسفة القديمة [بالألمانية]، الجزء الأول، ص. 579 .[المؤلف]

(4) ديوجينيس لايرتيوس. 44، 9. آراؤه (ديمقريطس) هي هذه: المبادئ الأولى للكون هي الذرات والفضاء الفارغ؛ وكل شيء آخر موجود فقط في معتقدات الناس وظنونهم». [المؤلف]

(5) ديوجينيس لايرتيوس، 72، 9. ديمقريطس يرفض الصفات، قائلاً: «هي الذرات

لذلك، لا تنتج حقاً من العديد من الذرات، بل بالأحرى «من خلال اتحاد الذرات يبدو أن كل شيء يصبح وحدة».[1] لذلك لا يمكن إدراك المبادئ إلا من خلال العقل، لأنها لا يمكن الوصول إليها بالعين الحسية ولو بسبب صغر حجمها. لهذا السبب، تسمى أحياناً أفكار[2].

المظهر الحسي، من ناحية أخرى، هو الموضوع الحقيقي الوحيد، والإدراك الحسي [aisthesis] هو العقلانية [فرونيسيس][3]؛ هذا الشيء الحقيقي، مع ذلك، هو المتغير، غير المستقر، الظاهرة. لكن القول بأن الظاهرة هي الشيء الحقيقي هو أمر متناقض[4]. وهكذا الآن هذا الجانب، وذاك الجانب الآخر، يتم جعلهما الذاتي والموضوعي. وبالتالي يبدو أن التناقض محتفظ به منفصلاً،

والفراغ، وكل شيء آخر موجود فقط في معتقدات الناس [nenomisthai] وآرائهم [doksazesthai]». [ترجمة ماركي أهونين] . [المؤلف]

(1) سيمبليكيوس، في دراسات حواشي حول أرسطو (جمعها براندیس)، ص. 488. ومع ذلك (ديمقريطس) لا يسمح في الواقع بتشكيل كائن واحد منهم، لأنه، كما يقول، من السخف تماماً أن يصبح اثنان أو أكثر واحداً. ص. 514. وبالتالي قالوا (ديمقريطس .لوقيُّس) أن لا الواحد يصبح كثرة ولا الكثرة تصبح واحداً غير قابل للانفصال حقاً ولكن من خلال اتحاد الذرات يبدو أن كل شيء يصبح وحدة. [المؤلف]

(2) بلوتارخ، الرد على كولوتيس، 1111. الذرات، التي يسميها (ديمقريطس) «أفكار». [المؤلف]

(3) فرونيسيس: مصطلح يوناني يشير إلى «العقلانية العملية» أو «الحكمة العملية»، استخدمه ديمقريطس للإشارة إلى النشاط العقلي المرتبط بالإدراك الحسي. [م]

(4) قارن مع أرسطو، المرجع المذكور. [المؤلف]

مقسماً بين عالمين.

وبالتالي، فإن ديمقريطس لا يهرب من التناقض. ليس هذا هو المكان المناسب بعد لتفسيره. يكفي أننا لا نستطيع إنكار وجوده.

والآن فلنستمع إلى إبيقور يقول: الرجل الحكيم، يتخذ موقفاً عقائدياً، وليس موقفاً شكياً[1].

نعم، بالضبط هذا ما يجعله متفوقاً على كل الآخرين، أنه يعرف بقناعة[2]. «جميع الحواس هي رسل الحقيقة [3].» «ولا يوجد شيء يمكن أن يدحض الإحساسات، لا المثل يمكن أن يدحض المثل، بسبب صلاحيتهما المتساوية، ولا يمكن أن يدحض غير المثل، لأنهما لا يحكمان على نفس الشيء، ولا المفهوم، لأن المفهوم يعتمد على الإدراكات الحسية[4]» كما يقول في القانون.

(1) ديوجينيس لايرتيوس، 121، 10. «الحكيم،،يجب ان يتأخذ «موقفاً» وليس مجرد شكاك، وسيقطع برأي ولن يتردد».[المؤلف]

(2) بلوتارخ، الرد على كولوتيس، 1117. لأنه من عقائد إبيقور «أن لا أحد غير الحكيم مقتنع بشكل لا يتغير بأي شيء». [المؤلف]

(3) شيشرون، عن طبيعة الآلهة 1،25،70. «لقد قال (أبيقور) إن جميع الحواس هي رسل الحقيقة». قارن مع شيشرون، عن الغايات 22، 7، 1. بسودو-بلوتارخوس، «عن آراء الفلاسفة»؛ أيتيوس, 4, 9,5 «وفقاً لأبيقور، كل إحساس [aisthêsis] وكل تصور [fantasia] صحيح». [المؤلف]

(4) ديوجينيس لايرتيوس، 31، 10. الآن في القانون يؤكد إبيقور أن أحاسيسنا وتصوراتنا المسبقة ومشاعرنا هي معايير الحقيقة.... 32. ولا يوجد شيء يمكن أن يدحض

لكن بينما يحول ديمقريطس العالم الحسي إلى مظهر ذاتي، يحوله إبيقور إلى ظهور موضوعي. وهنا يختلف بوعي تام، لأنه يدعي أنه يتشارك في نفس المبادئ ولكنه لا يختزل الصفات الحسية إلى أمور رأي فقط[1].

وبما أن الإحساس كان في الواقع معيار إبيقور، وبما أن المظهر الموضوعي

الأحاسيس أو يدينها بالخطأ: الإحساس الواحد لا يمكن أن يدحض إحساساً آخر مماثلاً، لأنها صالحة بالتساوي؛ ولا يمكن لإحساس واحد أن يدحض إحساساً آخر غير مماثل بل غير متجانس، لأن الأشياء التي يحكم عليها الحاستان ليست هي نفسها؛ ولا يمكن للعقل أن يدحضها أيضاً، لأن العقل يعتمد كلياً على الإحساس. [المؤلف]

(1) بلوتارخ، ضد كولوتيس ص. 1110-1111. «فإن المقولة إن اللون موجود بالعرف، والحلو بالعرف، والتركيب بالعرف، بينما الذرات [هي الحقيقة]، يقول إنها قيلت من قبل ديمقريطس ضد الإحساسات... ليس لدي ما أعترض به على هذا القول، لكنني أقول إن هذه العقائد لا تنفصل عن عقائد أبيقور، تماماً كما أنهم يقولون إن الشكل والوزن لا ينفصلان عن الذرة. فماذا يقول ديمقريطس؟ إن هناك جواهر لا نهائية في العدد، ذرية ومتنوعة، وأيضاً بلا صفات وبلا قدرة على الإحساس، تتحرك متفرقة في الفراغ، وعندما تقترب من بعضها، أو تصطدم، أو تتشابك، يظهر من تجمعها النار، أو الماء، أو النبات، أو الإنسان؛ وكل ذلك هو الذرات التي يسميها هو أفكاراً [idéas]، وليس شيء آخر، لأنه لا يمكن أن يكون هناك نشوء من العدم؛ ولا يمكن أن ينشأ شيء من [الموجودات]، لأن الذرات لا تتأثر ولا تتغير بسبب صلابتها، ومن ثم لا يوجد لون ناشئ من اللاملون، ولا طبيعة أو نفس من اللاصفة... يجب إذن أن نلوم ديمقريطس، ليس لأنه يعترف بنتائج مبادئه، بل لأنه يتبنى مبادئ تؤدي إلى هذه النتائج... يقول أبيقور إنه يفترض نفس المبادئ، لكنه لا يقول إن اللون... والصفات الأخرى [موجودة] بالعرف فقط». [المؤلف]

يتوافق معه: فلا يمكننا إلا أن نعتبر استنتاجاً صحيحاً ذلك الذي يهز شيشرون كتفيه عنده: «تبدو الشمس كبيرة لديمقريطس، لأنه رجل علم ضليع في الهندسة؛ بالنسبة لإبيقور تبدو بحجم قدمين تقريباً، لأنه يعلن أنها كبيرة كما تبدو [1].»

B. هذا الاختلاف في الأحكام النظرية لديمقريطس وإبيقور بخصوص يقين العلم وحقيقة موضوعاته يتجلى في الطاقة والممارسة العلمية المتباينة لهؤلاء الرجال.

ديمقريطس، الذي لا يدخل المبدأ في المظهر، يظل بدون واقع ووجود، ويواجه من ناحية أخرى عالم الإحساس كعالم حقيقي، مليء بالمحتوى. صحيح، هذا العالم هو مظهر ذاتي، ولكن بسبب ذلك بالتحديد، فإنه ممزق بعيداً عن المبدأ، تُرك في واقعه المستقل الخاص. في الوقت نفسه، إنه الموضوع الحقيقي الوحيد وبالتالي له قيمة وأهمية. لذلك يندفع ديمقريطس إلى الملاحظة التجريبية. غير راضٍ عن الفلسفة، يرمي بنفسه في أحضان المعرفة الإيجابية. لقد رأينا بالفعل أن شيشرون يسميه رجل علم «فير إيروديتوس»[2]. إنه ضليع في الفيزياء والأخلاق

(1) شيشرون، عن الخيرات والشرور العليا، 1، 6. ديمقريطس، كونه رجلاً متعلماً وضليعاً في الهندسة، يعتقد أن الشمس ذات حجم هائل؛ اما إبيقور يعتبرها ربما قطرها قدمان، لأنه يعلن أنها بنفس الحجم الذي تظهر به بالضبط. قارن مع (بلوتارخ،) عن آراء الفلاسفة، 2، ص. 265. [المؤلف]

(2) فير إيروديتوس: تعبير لاتيني يعني «رجل العلم» أو «الرجل المتعلم»، استخدمه شيشرون لوصف ديمقريطس وتعلمه الموسوعي. [م]

والرياضيات وفي التخصصات الموسوعية وفي كل فن[1]. فهرس كتبه الذي قدمه «ديوجينيس لايرتيوس» وحده يشهد على تعلمه[2]. ولكن نظراً لأن السمة المميزة للتعلم هي التوسع في العرض والجمع والبحث في الخارج، نرى ديمقريطس يتجول في نصف العالم من أجل اكتساب الخبرات والمعرفة والملاحظات.

«لقد كنت بين معاصري» يفتخر، متجولاً عبر الجزء الأكبر من الأرض محققاً في الأشياء الأكثر بعداً. لقد رأيت معظم المناخات والأراضي، وسمعت معظم الرجال المتعلمين، وفي التكوين الخطي مع البرهان لم يتفوق علي أحد، حتى ما يسمى «بأرسيبيدونابتس»[3] المصريين[4]؛

(1) ديوجينيس لايرتيوس، 37، 9. [وحقاً ديمقريطس] كان قد درب نفسه في الفيزياء والأخلاق، بل أكثر من ذلك، في الرياضيات ومواضيع التعليم الروتينية، وكان خبيراً تماماً في الفنون. [المؤلف]

(2) قارن مع ديوجينيس لايرتيوس، 49، 9-46. [المؤلف]

(3) أرسيبيدونابتاي: لقب مصري استخدمه ديمقريطس للإشارة إلى مجموعة من المصريين القدماء المتخصصين في الهندسة والقياس، وخاصة قياس الأراضي وتحديد المساحات. الهندسة المصريين الذين تفاخر بأنه تفوق عليهم في علم الهندسة. [م]

(4) يوسيبيوس، «تحضير الإنجيل»، 10، ص. 472. وفي مكان ما يقول (ديمقريطس) مفتخراً بنفسه: «لقد تجولت في جزء أكبر من الأرض من أي من معاصري، محققاً في الأشياء الأكثر بُعداً، ورأيت معظم المناخات والأراضي، وسمعت أكثر الرجال علماً، وفي التكوين الخطي مع البرهان لم يتفوق علي أحد، حتى ما يسمى «أرسيبيدونابتاي» المصريين، الذي كنت ضيفه عندما كنت في سن الثمانين بالفعل.» لأنه ذهب إلى بابل وفارس ومصر، حيث درس أيضاً مع الكهنة المصريين. [المؤلف]

يذكر «ديميتريوس»[1] في «هومونيمويس»[2] [رجال بنفس الاسم] و«أنتيستينيس»[3] في «ديادیوشايس»[4] [معاقبة الفلاسفة] أنه سافر إلى مصر للكهنة لتعلم الهندسة، وإلى الكلدانيين في فارس، وأنه وصل إلى البحر الأحمر. يؤكد البعض أنه التقى أيضاً «بالجيمنوسوفيستيين»[5] في الهند ووطئت قدمه إثيوبيا[6]. من ناحية، إنها شهوة

(1) ديميتريوس (القرن الثالث ق.م): مؤرخ يوناني وكاتب سير ذاتية، ذكره ديوجينيس لايرتيوس كمصدر لمعلوماته عن رحلات ديمقريطس. [م]

(2) هومونيمويس: «رجال بنفس الاسم»، عنوان كتاب لديميتريوس يتناول سير أشخاص يحملون نفس الاسم. [م]

(3) أنتيستينيس (445-365 ق.م): فيلسوف يوناني، مؤسس المدرسة الكلبية، وأحد تلاميذ سقراط. كتب عن تاريخ الفلسفة في عمله «معاقبة الفلاسفة». [م]

(4) ديادیوشايس: «معاقبة الفلاسفة»، عنوان كتاب لأنتيستينيس يتناول تسلسل المدارس الفلسفية والعلاقات بين الفلاسفة. [م]

(5) الجيمنوسوفيستيين: كلمة يونانية تعني «الحكماء العراة»، أطلقها الإغريق على الزهاد والحكماء الهنود الذين التقوا بهم خلال حملة الإسكندر المقدوني على الهند. كانوا يمارسون التأمل والزهد المتطرف، ويرفضون الممتلكات المادية حتى الملابس. ذُكر أن ديمقريطس زارهم في رحلاته لاكتساب الحكمة. [م]

(6) ديوجينيس لايرتيوس، 35، 9. وفقاً لديميتريوس في كتابه عن الرجال ذوي الاسم نفسه وأنتيستينيس في «معاقبة الفلاسفة»، سافر هو (ديمقريطس) إلى مصر لتعلم الهندسة من الكهنة، وذهب أيضاً إلى فارس لزيارة الكلدانيين وكذلك إلى البحر الأحمر. يقول البعض إنه ارتبط مع الجيمنوسوفيستيين في الهند وذهب إلى إثيوبيا. [المؤلف]

المعرفة التي لا تتركه في راحة؛ لكنها في الوقت نفسه، من ناحية أخرى، عدم الرضا عن المعرفة الحقيقية، أي الفلسفية، التي تدفعه بعيداً إلى الخارج. المعرفة التي يعتبرها حقيقية هي بدون محتوى، والمعرفة التي تعطيه محتوى هي بدون حقيقة. قد تكون خرافة، لكنها خرافة حقيقية، تلك الحكاية القديمة، لأنها تعطي صورة عن العناصر المتناقضة في كيانه. يُفترض أن ديمقريطس قد أعمى نفسه حتى لا يعتم الضوء الحسي للعين على حدة العقل [1]. هذا هو نفس الرجل الذي، وفقاً لشيشرون، تجول في نصف العالم. لكنه لم يجد ما كان يبحث عنه.

شخصية مغايرة تظهر لنا في إبيقور.

إبيقور راضٍ وسعيد في الفلسفة. «يجب عليك،» يقول، «أن تخدم الفلسفة حتى تنال الحرية الحقيقية. من أخضع نفسه واستسلم لها لا يحتاج إلى الانتظار، فهو متحرر في الحال. لأن خدمة الفلسفة هي الحرية نفسها[2].

(1) شيشرون، «المباحثات التوسكولانية»، 39، 5. عندما فقد ديمقريطس بصره.... وهذا الرجل اعتقد أن رؤية العينين كانت عائقاً أمام الرؤية الثاقبة للروح، وبينما كان الآخرون غالباً ما يفشلون في رؤية ما هو عند أقدامهم، كان يتجول بحرية في اللانهاية دون أن يجد أي حد يجعله يتوقف. المصدر نفسه، عن الخيرات والشرور العليا، 87، 5, 29. يُروى عن ديموقراطس أنه حرم نفسه من البصر؛ ومن المؤكد أنه [فعل ذلك] حتى لا يتشتت ذهنه قدر الإمكان عن التأمل. [المؤلف]

(2) لوكيوس أنايوس سينيكا، الأعمال، 2، ص. 24، أمستردام، 1672، الرسالة الثامنة. «ما زلت أدرس إبيقور..إذا كنت تريد أن تتمتع بالحرية الحقيقية، فيجب أن تكون عبداً للفلسفة.» الرجل الذي يخضع ويستسلم لها لا يُبقى منتظراً يتحرر على الفور.

وبالتالي يعلم: «لا يؤخر أحد عندما يكون شاباً دراسة الفلسفة، ولا يتعب عندما يكون شيخاً من دراستها. لأنه لا أحد يمكن أن يأتي مبكراً جداً أو متأخراً جداً لتأمين صحة روحه. والإنسان الذي يقول إن عمر الفلسفة إما لم يأت بعد أو قد مضى يشبه الإنسان الذي يقول إن عمر السعادة لم يأت إليه بعد، أو قد مضى [1].

بينما يلقي ديمقريطس، غير راضٍ عن الفلسفة، بنفسه في أحضان المعرفة التجريبية، فإن إبيقور لا يملك سوى الازدراء للعلوم الإيجابية، لأنها في رأيه لا تسهم بشيء في الكمال الحقيقي[2]. يوصف بأنه عدو للعلم، محتقر للنحو. بل يُتهم بالجهل. لكن يقول أحد الإبيقوريين في شيشرون، «لم يكن إبيقور بدون تعلم، بل أولئك جهلة الذين يعتقدون أن ما هو مخجل لصبي ألا يعرفه

لأن خدمة الفلسفة نفسها هي الحرية. [المولف]

(1) ديوجين لايرتيوس 122، 10. «لا يجب على أحد أن يؤجل دراسة الفلسفة وهو شاب، ولا أن يتعب منها وهو مسن. فليس أحد أصغر من أن يبدأ، ولا أكبر من أن يواصل السعي لصحة النفس. من يقول إن وقت دراسة الفلسفة لم يأت بعد، أو أنه قد فات، يشبه من يقول إن وقت السعادة لم يأت بعد، أو أنه قد ولى. لذا يجب دراسة الفلسفة على الشيخ والشاب [أحدهما]، حتى إذا شاخ يظل شاباً بالخير، بسبب امتنانه لما مضى؛ والآخر، حتى يكون شاباً وشيخاً في آن واحد، بسبب عدم خوفه مما سيأتي». [المؤلف]

(2) سكستوس إمبيريكوس، «ضد الرياضيين»، يبدو أن معارضة أتباع العلوم كانت شائعة بين أتباع أبيقور وأتباع بيرون، وإن لم تكن من نفس المنطلق، بل إن أتباع أبيقور [يعارضون] لأن العلوم لا تسهم في شيء في تحقيق الحكمة الكاملة». [المؤلف]

يجب أن يظل يردده الشيخ [1].

ولكن بينما يسعى ديمقريطس للتعلم من الكهنة المصريين والكلدانيين الفرس و«الجيمنوسوفيستيين» الهنود، يفتخر إبيقور بأنه لم يكن لديه معلم، وبأنه علّم نفسه بنفسه[2]. هناك بعض الناس، كما يقول وفقاً «لسينيكا»[3]، الذين يكافحون من أجل الحقيقة دون أي مساعدة. من بين هؤلاء الناس رسم لنفسه طريقه. وهم، المتعلمون ذاتياً، هم من يثني عليهم أكثر. الآخرون، وفقاً له، هم عقول من الدرجة الثانية [4]. بينما يندفع ديمقريطس إلى جميع أنحاء

---

(1) شيشرون، عن «الخيرات والشرور العليا»، 721، 21 ,1. «إذن، ليس أبيقور هو الجاهل، بل أولئك غير المتعلمين الذين يعتقدون أن ما يُعد عاراً ألا يتعلمه الصبيان، يجب تعلمه حتى الشيخوخة». [المؤلف]

(2) ديوجينيس لايرتيوس، 13، 10. أبولودوروس في كتاب «الحوليات» يخبرنا أن فيلسوفنا (أي إبيقور) كان تلميذاً «لنوسيفانيس» و«براكسيفانيس»؛ لكن في رسالته إلى «يوريديكوس»، ينفي إبيقور نفسه ذلك ويقول إنه علم نفسه بنفسه. شيشرون، عن «طبيعة الآلهة»، 72، 26 ,1. لأنه (إبيقور) تفاخر بأنه لم يكن لديه معلم قط. هذا من جانبي يمكنني تصديقه، حتى لو لم يعلن ذلك. [المؤلف]

(3) سينيكا (4 ق.م-65 م): فيلسوف روماني رواقي، كتب عن إبيقور وأفكاره، مقتبساً كثيراً من تعاليمه الأخلاقية رغم اختلافه معه. [م]

(4) سينيكا، الرسالة 52. ص. (176-) 177. «هناك بعض الناس، يقول أبيقور، يسعون إلى الحقيقة بدون أي مساعدة؛ وقد صنع لنفسه طريقاً بينهم. وهو يمتدح بشكل خاص أولئك الذين لديهم دافع ذاتي، والذين ارتقوا بأنفسهم. وهناك آخرون يحتاجون إلى مساعدة خارجية، ولن يذهبوا إذا لم يسبقهم أحد، ولكنهم سيتبعون

العالم، يترك إبيقور حديقته في أثينا بالكاد مرتين أو ثلاث مرات ويسافر إلى «أيونيا»[1]، ليس للانخراط في الدراسات، بل لزيارة الأصدقاء[2]. وأخيراً، بينما يشك ديمقريطس، الذي يشعر باليأس من اكتساب المعرفة، و«يعمي نفسه»[3]، فإن إبيقور، الذي يشعر باقتراب ساعة الموت، يأخذ حماماً دافئاً، ويطلب نبيذاً صافياً ويوصي أصدقاءه بأن يكونوا أوفياء للفلسفة[4].

C. الاختلافات التي وضعناها للتو يجب ألا تُنسب إلى الفردية العرضية للفيلسوفين؛ فهي تجسد اتجاهين متعارضين. نرى كاختلاف في الطاقة العملية ما هو معبر عنه في المقاطع أعلاه كاختلاف في الوعي النظري.

بشكل جيد. ويقول إن ميترودوروس من هؤلاء. هذا أيضاً أمر رائع، ولكنه من الدرجة الثانية». [المؤلف]

(1) أيونيا: منطقة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى (تركيا حالياً)، كانت مركزاً للثقافة والفلسفة اليونانية المبكرة. زارها إبيقور لمقابلة أصدقائه. [م]

(2) ديوجينيس لايرتيوس، 10، 10. قضى حياته كلها في اليونان، على الرغم من المصائب التي حلت بها في ذلك العصر؛ عندما قام برحلة أو رحلتين إلى أيونيا، كان ذلك لزيارة أصدقائه هناك. الأصدقاء في الواقع جاءوا إليه من كل الأنحاء وعاشوا معه في حديقته. ذُكر هذا من قبل «أبولودوروس»، الذي يقول أيضاً إنه اشترى الحديقة بثمانين مينا. [المؤلف]

(3) يعمي نفسه: إشارة إلى أسطورة تقول: أن ديمقريطس أعمى نفسه طوعاً ليتمكن من التركيز على تفكيره الداخلي دون تشتيت من العالم الخارجي. [م]

(4) المصدر نفسه، 16، 15، 10. يروي «هيرميبوس» أنه دخل حماماً برونزياً من ماء فاتر وطلب نبيذاً غير ممزوج، ابتلعه، وبعد ذلك، وبعد أن طلب من أصدقائه أن يتذكروا عقائده، لفظ أنفاسه الأخيرة. [المؤلف]

ننظر أخيراً في شكل التفكير الذي يعبر عن علاقة الفكر بالوجود، وعلاقتهما المتبادلة. في العلاقة العامة التي يراها الفيلسوف بين العالم والفكر، فإنه يجعل موضوعياً فقط علاقة وعيه الخاص بالعالم الواقعي.

الآن يستخدم ديمقريطس الضرورة كشكل من أشكال التفكير في الواقع[1]. يقول أرسطو عنه إنه يعزو كل شيء إلى الضرورة[2]. يذكر ديوجينيس لايرتيوس أن دوامة الذرات، أصل كل شيء، هي ضرورة ديمقريطس[3]. تقدم تفسيرات أكثر إرضاءً مؤلف «دي بلاسيتس فيلوسوفوروم»[4]:

الضرورة هي، وفقاً لديمقريطس، القدر والقانون، العناية الإلهية وخالق

(1) شيشرون، عن القدر 10. «أبيقور فضل تجنب ضرورة القدر، بينما قبل ديمقريطس أن كل شيء يحدث بالضرورة». نفس المصدر، عن طبيعة الآلهة، 1، 25 [69]. لذلك اخترع (إبيقور) حيلة للهروب من الحتمية (يبدو أن هذه النقطة قد فاتت انتباه ديمقريطس). «يوسيبيوس»، تحضير الإنجيل، 1، ص. 23 وما بعدها. ديمقريطس الأبديري [افترض]... أن كل شيء، الماضي وكذلك الحاضر والمستقبل، قد تم تحديده دائماً، منذ زمن بعيد، من قبل الضرورة.[المؤلف]

(2) أرسطو، عن «تكوين الحيوانات»، 5، 8 [Sgb 7، 2-3]. ديمقريطس.... يرجع كل شيء إلى الضرورة». [المؤلف]

(3) ديوجينيس لايرتيوس، 45، 9. وكل شيء يحدث وفقاً للضرورة، والدوامة هي سبب نشأة كل الأشياء، وهو ما يسميه (ديمقريطس) الضرورة». [المؤلف]

(4) بلاسيتس فيلوسوفوروم: «عن آراء الفلاسفة»، كتاب نُسب خطأً إلى بلوتارخ، يحتوي على معلومات عن آراء الفلاسفة القدماء في مسائل الفيزياء والفلك. [المؤلف]

العالم. لكن جوهر هذه الضرورة هو النموذج المضاد وحركة واندفاع المادة[1].

يمكن العثور على مقطع مشابه في «الاختيارات الفيزيائية»[2] لستوبايوس[3] وفي الكتاب السادس من « تحضير الإنجيل» ليوسيبيوس[4]. في «الاختيارات الأخلاقية»[5] لستوبايوس[6] تم الحفاظ على القول المأثور

---

(1) بلوتارخ «عن آراء الفلاسفة» 1، ص. 252. «بارمينيدس وديمقريطس [يريان أن] كل شيء [يحدث] وفقاً للضرورة، وأنها نفسها المصير والعدالة والعناية وخالقة العالم». [المؤلف]

(2) الاختيارات الفيزيائية لستوبايوس: مجموعة من مقتطفات أعمال الفلاسفة حول الطبيعة والفيزياء، جمعها يوحنا ستوبايوس في القرن الخامس. [م].

(3) ستوبايوس، الاختيارات الفيزيائية، 8، 1. بارمنيدس وديمقريطس [يقولان] أن كل شيء يحدث بالضرورة، وهذا هو القدر، العدالة، العناية الإلهية [ومهندس العالم]. ليوسيبوس [يقول] أن كل شيء [يحدث] بالضرورة، وهذا هو القدر. لأنه يقول... لا شيء ينشأ بدون سبب، ولكن كل شيء بسبب سبب وضرورة. [المؤلف]

(4) يوسيبيوس، تحضير الإنجيل 6، ص. 257. «المصير، والقدر.... وعنده (أي ديمقريطس) [يتحدد] من الأجسام الصغيرة تلك، التي تتحرك للأسفل، وترتد للأعلى، وتتشابك وتتحلل وتتباعد وتتجاور بالضرورة». [المؤلف]

(5) الاختيارات الأخلاقية لستوبايوس: مجموعة مقتطفات من الأعمال الأخلاقية للفلاسفة القدماء، جمعها ستوبايوس. [م]

(6) يوحنا ستوبايوس (القرن 5م): مؤلف بيزنطي، صاحب «خلاصة آراء الطبيعيين» و«الاختيارات الأخلاقية»، مجموعة مقتطفات فلسفية من المؤلفين اليونانيين القدماء. [المؤلف]

التالي لديمقريطس[1] - وهو مكرر تقريباً بالضبط في الكتاب الرابع عشر من يوسيبيوس [2]: «يجب البشر أن يخلقوا لأنفسهم وهم الصدفة» وهو تعبير عن حيرتهم الخاصة، لأن الصدفة غير متوافقة مع التفكير السليم. وبالمثل، ينسب «سيمبليسيوس»[3] إلى ديمقريطس مقطعاً يتحدث فيه أرسطو عن العقيدة القديمة التي تزيل الصدفة [4].

قارن هذا مع إبيقور: «الضرورة، التي أدخلها البعض كحاكم مطلق، غير موجودة، بل بعض الأشياء عرضية، والبعض الآخر يعتمد على إرادتنا

---

(1) ستوبايوس، مقتطفات 16، 8، 2. «لقد طور البشر وهماً [eidôlon] عن الصدفة [tykh-] كذريعة لجهلهم؛ لأن الصدفة تحارب حتى القدرة الضئيلة على التفكير». [المؤلف]

(2) يوسيبيوس، «تحضير الإنجيل» 14. ص. 782. «وبينما يضع ديمقريطس الصدفة سيدة وملكة على الكل والأمور الإلهية، ويعلن أن كل شيء يحدث وفقاً لها؛ إلا أنه ينكرها من حياة البشر، ويوبخ المدافعين عنها كجهلاء. فهو يقول في بداية نصائحه: «صنع البشر صورة وهمية للحظ ذريعة لعدم فهمهم الخاص؛ لأن العقل يتعارض بطبيعته مع الصدفة، وقد قالوا إن هذه، التي هي ألد أعداء الفكر، تسيطر؛ أو بالأحرى، عندما يُزال العقل بالكامل ويُمحى، فإنها تحل محله. فإنهم لا يثنون على العقل باعتباره مباركاً، بل يمدحون الصدفة باعتبارها الأكثر حكمة». [المؤلف]

(3) تحضير الإنجيل ليوسيبيوس: كتاب للمؤرخ المسيحي يوسيبيوس القيصري (القرن الرابع)، يقتبس من الفلاسفة اليونانيين ليظهر توافق الفلسفة مع المسيحية. [م]

(4) سيمبليكيوس، في الموضع المذكور ص. 351. «إن القول: «كما أن الحجة القديمة... التي تلغي الصدفة»، يبدو أنه موجه ضد ديمقريطس». [المؤلف]

التعسفية. لا يمكن إقناع الضرورة، لكن الصدفة غير مستقرة. سيكون من الأفضل اتباع الأسطورة حول الآلهة من أن نكون عبيداً «للهيمارمين»[1] «ما قُدّر، المصير» للفيزيائيين. لأن الأولى تترك الأمل في الرحمة إذا كرمنا الآلهة، بينما الأخيرة هي ضرورة لا ترحم. لكن الصدفة هي التي يجب قبولها، وليس الله، كما يعتقد الناس[2].» «إنه تعاسة أن نعيش في ضرورة، لكن العيش في ضرورة ليس ضرورة. على جميع الجوانب، هناك العديد من الطرق القصيرة والسهلة مفتوحة للحرية. دعنا لذلك نشكر الله على أنه لا يمكن أن يُحتفظ بأي رجل في الحياة. يمكن إخضاع الضرورة نفسها[3].»

(1) الهيمارمين: مصطلح يوناني يعني «المصير» أو «القدر المحتوم»، رفضه إبيقور في مقابل فكرة الصدفة والاختيار الحر. [م]

(2) ديوجين لايرتيوس 133، 10. «... أما المصير، الذي يقدمه البعض كسيد على كل شيء، فإنه (أي الحكيم) يعلن عدم وجوده؛ بل إن بعض الأشياء تحدث بالصدفة، وبعضها يأتي منا، لأنه يرى أن الضرورة غير خاضعة للمساءلة، وأن الصدفة غير مستقرة. وما يأتي منا لا سيد له؛ ومنه تأتي طبيعياً الملامة ونقيضها. 134. إذ من الأفضل الإيمان بأسطورة الآلهة من أن نكون عبيداً لمصير الطبيعيين. فالأولى ترسم أملاً في استعطاف الآلهة من خلال التكريم، أما الثانية فتحمل ضرورة لا تلين. وأما الصدفة، فلا يعتبرها إلهاً، كما يعتقد الكثيرون...» [المؤلف]

(3) سينيكا، الرسائل 12، ص. 42. «من السيئ أن تعيش في ضرورة؛ لكن العيش في ضرورة ليس ضرورياً... الطرق مفتوحة من كل جانب إلى الحرية، عديدة، قصيرة، سهلة. فلنشكر الله، لأنه لا يمكن لأحد أن يُحتجز في الحياة. إنه مسموح لنا أن ندوس على الضرورات نفسها. هكذا قال... أبيقور». [المؤلف]

يقول «فيليبوس» [1] الإبيقوري في شيشرون شيئاً مشابهاً عن الفلسفة الرواقية:

«ما رأينا في فلسفة يبدو فيها، كما في النساء العجائز الجاهلات، كل شيء يحدث من خلال القدر؟... قد حررنا إبيقور، وأطلق سراحنا [2].»

وهكذا ينكر إبيقور حتى الحكم الانفصالي حتى لا يضطر إلى الاعتراف بأي مفهوم للضرورة [3].

صحيح، يُزعم أن ديمقريطس استخدم أيضاً مفهوم الصدفة، لكن من بين المقطعين اللذين يمكن العثور عليهما حول هذا الموضوع في سيمبليسيوس [4]، فإن أحدهما يجعل الآخر مشكوكاً فيه، لأنه يظهر بوضوح أنه لم يكن

(1) فيليبوس: شخصية إبيقورية في محاورة شيشرون «عن طبيعة الآلهة»، يدافع عن وجهة النظر الإبيقورية حول الآلهة. [م]

(2) شيشرون، عن طبيعة الآلهة 20، 1. «ما مدى تقديرنا لهذه الفلسفة (أي الرواقية)، التي ترى، مثل العجائز الجاهلات، أن كل شيء يحدث بالقدر؟... تحررنا من أبيقور وانتصرنا للحرية،...» [المؤلف]

(3) نفس المصدر، الفصل 25. «يفعل (أبيقور) نفس الشيء ضد الجدليين. فعندما علّموا أنه في جميع القضايا الشرطية المنفصلة، التي يُوضع فيها «إما أن يكون، أو لا يكون»، أحد البديلين يجب أن يكون صحيحاً: خشي، إذا سُمح بعبارة مثل «إما أن يعيش أبيقور غداً، أو لا يعيش»، أن يصبح أحدهما ضرورياً؛ فأنكر أن كل هذا «إما أن يكون، أو لا يكون» ضروري». [المؤلف]

(4) سيمبليكيوس، في الموضع المذكور ص. 351. «... ولكن أيضاً ديمقريطس، في حديثه عن وجوب انفصال جميع أنواع الأشكال من الكل، لكنه لا يذكر كيف وبأي

ديمقريطس هو من استخدم فئة الصدفة، بل سيمبليسيوس الذي نسبها إليه كنتيجة. فهو يقول: يعين ديمقريطس، بشكل عام، لا سبب لخلق العالم، يبدو إذن أنه يجعل الصدفة هي السبب. هنا، مع ذلك، نحن معنيون ليس بتحديد المحتوى، بل بالشكل المستخدم بوعي من قبل ديمقريطس. الوضع مشابه فيما يتعلق بتقرير يوسيبيوس أن ديمقريطس جعل الصدفة حاكماً للكون والإلهي وادعى أنه هنا يحدث كل شيء من خلال الصدفة، بينما استبعد الصدفة من الحياة البشرية والطبيعة التجريبية ودعا مؤيديها بالحمقى [1].

من جهة، نرى في هذه التصريحات فقط رغبة من الأسقف المسيحي «ديونيسيوس»[2] في إجبار الآخرين على استنتاجات. ومن جهة أخرى، حيث يبدأ الكوني والإلهي، يتوقف مفهوم الضرورة الديمقريطي عن الاختلاف عن الصدفة.

ومن ثم، فإن هذا القدر مؤكد تاريخياً: يستخدم ديمقريطس الضرورة، ويستخدم إبيقور الصدفة. ويرفض كل منهما وجهة النظر المعاكسة بتهيج

سبب، يبدو أنه يجعلها تتولد من تلقاء نفسها وبالصدفة». [المؤلف]

(1) قارن مع يوسيبيوس، الموضع المذكور 14. ص. 781 وما يليها. «... وهو (ديمقريطس) يبحث عن الأسباب عبثاً وبدون مبررات، بما أنه ينطلق من مبادئ فارغة وافتراضات خاطئة، ولا يرى جذر وضرورة طبيعة الكائنات المشتركة، ولكنه يعتبر فهم الأشياء التي تحدث بلا حكمة أعظم حكمة». [المؤلف]

(2) ديونيسيوس: أسقف إسكندرية مسيحي (القرن الثالث)، نقل عنه يوسيبيوس معلومات عن الذرات الديمقريطية. [م]

جدلي. تظهر النتيجة الرئيسية لهذا الاختلاف في طريقة تفسير الظواهر الفيزيائية الفردية.

تظهر الضرورة في الطبيعة المحدودة كضرورة نسبية، كحتمية. الضرورة النسبية يمكن استنتاجها فقط من الإمكانية الحقيقية، أي أنها شبكة من الشروط والأسباب والعلل، إلخ، التي من خلالها تكشف هذه الضرورة عن نفسها. الإمكانية الحقيقية هي! «كما لو كانت» شرح للضرورة النسبية. ونجد أن ديموقريطس يستخدمها. نقتبس بعض المقاطع من «سيمبليسيوس».

إذا كان شخص ما عطشاناً وشرب وشعر بتحسن، فإن ديمقريطس لن ينسب الصدفة كسبب، بل العطش. لأنه على الرغم من أنه يبدو أنه يستخدم الصدفة فيما يتعلق بخلق العالم، إلا أنه يؤكد أن الصدفة ليست سبب أي حدث معين، بل على العكس يعيد الأمر إلى أسباب أخرى. وهكذا، على سبيل المثال، الحفر هو سبب العثور على كنز، أو النمو هو سبب شجرة الزيتون [1].

إن الحماس والجدية التي يدخل بها ديمقريطس هذه الطريقة في التفسير في ملاحظة الطبيعة، والأهمية التي يوليها للسعي إلى التأكد من الأسباب، تُعبَّر

(1) سيمبليكيوس، في الموضع المذكور ص. 351. «فإذا كان شخص عطشاناً وشرب ماءً بارداً فأصبح معافى؛ لكن ربما، كما يقول ديمقريطس، ليست الصدفة هي السبب، بل العطش». نفس المصدر، ص. 351. «فذلك (أي ديمقريطس) وإن كان يبدو أنه استخدم الصدفة في تكوين العالم؛ إلا أنه في الأمور الجزئية لا يرى الصدفة سبباً لأي شيء، بل يعزو [السبب] إلى أسباب أخرى، مثل الحفر [كسبب] للعثور على كنز أو الزراعة [كسبب] لشجرة الزيتون». [المؤلف]

عنها بسذاجة في اعترافه:

«أفضل أن أكتشف علم الأسباب, من أن أكتسب التاج الفارسي [1].»

مرة أخرى يقف إبيقور معارضاً مباشرة لديمقريطس.

الصدفة، بالنسبة له، هي واقع له قيمة الإمكانية فقط. ومع ذلك، فإن الإمكانية المجردة هي النقيض المباشر للإمكانية الحقيقية. الأخيرة مقيدة ضمن حدود حادة، كما هو الحال مع العقل؛ الأولى لا حدود لها، كما هو الحال مع الخيال. تسعى الإمكانية الحقيقية إلى شرح ضرورة وواقع موضوعها؛ الإمكانية المجردة ليست مهتمة بالموضوع الذي يتم تفسيره، بل بالموضوع الذي يقوم بالتفسير. يحتاج الكائن فقط أن يكون ممكناً، قابلاً للتصور. إن ما هو ممكن بشكل مجرد، والذي يمكن تصوره، لا يشكل عقبة أمام الموضوع المفكر، ولا حدوداً، ولا حجر عثرة. سواء كانت هذه الإمكانية واقعية أيضاً فهذا أمر غير ذي صلة، لأن الاهتمام هنا لا يمتد إلى الموضوع كموضوع.

وبالتالي يمضي إبيقور بلامبالاة لا حدود لها في تفسير الظواهر الفيزيائية المنفصلة.

سيتم إلقاء المزيد من الضوء على هذه الحقيقة من خلال الرسالة إلى

(1) يوسيبيوس، المصدر المذكور، 781، 14. في الواقع، من المفترض أن ديمقريطس نفسه قال إنه يفضل اكتشاف تفسير سببي جديد على اكتساب التاج الفارسي. [المؤلف]

«بيثوكليس»[1] التي سيتم النظر فيها لاحقاً. يكفي هنا أن نلفت الانتباه إلى موقف إبيقور من آراء الفيزيائيين السابقين. حيث يقتبس مؤلف «دي بلاسيتس فيلوسوفوروم» و«ستوبايوس»[2] وجهات النظر المختلفة للفلاسفة بخصوص جوهر النجوم، وحجم وشكل الشمس وأمور مماثلة، يُقال دائماً عن إبيقور: إنه لا يرفض أياً من هذه الآراء، كلها يمكن أن تكون صحيحة، فهو يلتزم بما هو ممكن[3]. نعم، يجادل إبيقور حتى ضد طريقة التفسير العقلاني المحددة، ولهذا السبب بالتحديد طريقة أحادية الجانب، من خلال الإمكانية الحقيقية.

وهكذا يقول سينيكا في كتابه «أسئلة طبيعية»[4]: يعتقد إبيقور أن كل

(1) بيثوكليس: تلميذ لإبيقور، أرسل إليه إبيقور رسالة مهمة عن الظواهر السماوية تشكل مصدراً رئيسياً لفهم نظريته الفلكية. [م]

(2) ستوبايوس: يوحنا ستوبايوس (القرن الخامس م)، كاتب يوناني جمع مختارات من أعمال الفلاسفة والشعراء القدماء في كتابه «المختارات» (Anthologium). قسّم عمله إلى الاختيارات الفيزيائية والأخلاقية، وحفظ لنا مقتطفات مهمة من أعمال مفقودة للفلاسفة. [المؤلف]

(3) (بلوتارخ) عن آراء الفلاسفة 2 ص. 261. «أبيقور لا يستبعد أياً من هذه (أي آراء الفلاسفة حول مادة النجوم)، [متمسكاً] بما هو ممكن». نفس المصدر، ص. 265. «أبيقور يقول مرة أخرى إن كل ما سبق ذكره ممكن». نفس المصدر. ستوبايوس، مقتطفات طبيعية 1، ص. 54. «أبيقور لا يستبعد أياً من هذه، متمسكاً بما هو ممكن». [المؤلف]

(4) كتاب أسئلة طبيعية: مؤلف لسينيكا يناقش فيه الظواهر الطبيعية ويقتبس آراء إبيقور في

هذه الأسباب ممكنة، ثم يحاول بالإضافة إلى ذلك تفسيرات أخرى. إنه يلوم أولئك الذين يدعون أن أياً منها يحدث على وجه التحديد، لأنه من المتهور الحكم بشكل قاطع على ما يمكن استنتاجه فقط من التخمينات [1].

يمكن أن نرى أنه لا يوجد اهتمام بالتحقيق في الأسباب الحقيقية للأشياء. كل ما يهم هو هدوء الذات المفسرة. بما أنه يتم قبول كل ما هو ممكن على أنه ممكن، وهو ما يتوافق مع طابع الإمكانية المجردة، فإن صدفة الوجود تُنقل بوضوح فقط إلى صدفة الفكر. القاعدة الوحيدة التي يفرضها إبيقور، وهي أن «التفسير يجب ألا يتعارض مع الإحساس»، هي واضحة بحد ذاتها، لأن أن تكون ممكناً بشكل مجرد يتكون بالضبط من كونك خالياً من التناقض، والذي يجب بالتالي تجنبه[2]. ويعترف إبيقور أخيراً بأن طريقته في التفسير تهدف

تفسيرها. [م]

(1) سينيكا، أسئلة الطبيعة، 20، 6، 5، ص. 802. يؤكد إبيقور أن كل ما سبق قد تكون أسباباً، لكنه يحاول تقديم بعض الأسباب الإضافية. إنه ينتقد المؤلفين الآخرين لتأكيدهم بشكل جازم للغاية أن سبباً معيناً هو المسؤول، حيث من الصعب النطق بأي شيء كأمر مؤكد في المسائل التي يجب اللجوء فيها إلى التخمين. [المؤلف]

(2) قارن مع الجزء الثاني، الفصل 5. ديوجينيس لايرتيوس، 88، 10. ومع ذلك، يجب علينا ملاحظة كل حقيقة كما هي معروضة، وفصلها أكثر عن جميع الحقائق المعروضة معها، التي يكون حدوثها من أسباب مختلفة لا تتعارض مع الحقائق ضمن تجربتنا.... كل هذه البدائل ممكنة؛ لا تتعارض مع أي من الحقائق.... [المؤلف]

فقط إلى أتاراكسيا[1] الوعي الذاتي، وليس إلى معرفة الطبيعة في ولذاتها[2]. لا يتطلب الأمر مزيداً من التوضيح لإظهار كيف أن إبيقور يختلف في هذا الأمر أيضاً عن ديمقريطس.

وهكذا نرى أن الرجلين يعارض أحدهما الآخر في كل خطوة. أحدهما شكاك، والآخر عقائدي؛ أحدهما يعتبر العالم الحسي مظهراً ذاتياً، والآخر يعتبره ظهوراً موضوعياً. من يعتبر العالم الحسي مظهراً ذاتياً يطبق نفسه على العلم الطبيعي التجريبي والمعرفة الإيجابية، ويمثل قلق المراقبة والتجريب والتعلم في كل مكان، متنقلاً في العالم الواسع. أما الآخر، الذي يعتبر عالم الظواهر واقعياً، فيزدري التجريبية؛ إنه يجسد هدوء الفكر المكتفي بذاته، والاكتفاء الذاتي الذي يستمد معرفته من المبدأ الداخلي.

ولكن التناقض يذهب إلى أبعد من ذلك. الشكاك والتجريبي، الذي يعتبر الطبيعة الحسية مظهراً ذاتياً، ينظر إليها من وجهة نظر الضرورة ويسعى إلى تفسير وفهم الوجود الحقيقي للأشياء. الفيلسوف والعقائدي، من ناحية

(1) أتاراكسيا: مصطلح يوناني يعني «الهدوء النفسي» أو «عدم الاضطراب». كان المفهوم المركزي في الفلسفة الإبيقورية، حيث اعتبر إبيقور أن الغاية النهائية للحياة هي تحقيق هذا السلام الداخلي من خلال التحرر من الخوف، خاصة الخوف من الآلهة والموت، ومن الألم الجسدي. يعتقد إبيقور أن تفسير الظواهر الطبيعية بطرق متعددة يساعد على إزالة الخوف الخرافي وتحقيق الأتاراكسيا. [م]

(2) ديوجينيس لايرتيوس، 80، 10. لا يجب أن نفترض أن معالجتنا لهذه الأمور تفتقر إلى الدقة، بقدر ما هو ضروري لضمان هدوءنا [أتاراكسيا] وسعادتنا. [المؤلف]

أخرى، الذي يعتبر المظهر حقيقياً، يرى في كل مكان الصدفة فقط، وطريقته في التفسير تميل بالأحرى إلى نفي الواقع الموضوعي للطبيعة. يبدو أن هناك نوعاً من العبث في هذه التناقضات.

بالكاد يبدو من الممكن الآن أن نفترض أن هؤلاء الرجال، الذين يتناقضون مع بعضهم البعض في جميع النقاط، سيلتزمون بعقيدة واحدة ونفسها. ومع ذلك، يبدو أنهم مرتبطون ببعضهم البعض. مهمة القسم التالي هي فهم علاقتهم بشكل عام.

القسم الثاني

الاختلاف بين الفلسفة الديمقريطية وفلسفة إبيقور للطبيعة بالتفصيل

الفصل الأول

انحراف الذرة عن الخط المستقيم

يفترض إبيقور حركة ثلاثية «للذرات» في الفراغ [1]. الحركة الأولى هي السقوط في خط مستقيم، والثانية تنشأ من انحراف الذرة عن الخط المستقيم، والثالثة تأسست من خلال تنافر العديد من الذرات. يقبل كل من ديمقريطس وإبيقور الحركة الأولى والثالثة. انحراف الذرة عن الخط المستقيم هو ما يميز أحدهما عن الآخر[2].

(1) ستوبايوس، الاختيارات الفيزيائية، 1، ص. 33. يقول إبيقور... أن الذرات تتحرك أحياناً عمودياً للأسفل، وفي أوقات أخرى بالانحراف عن خط مستقيم، ولكن الحركة للأعلى بسبب الاصطدام والارتداد. قارن مع شيشرون، عن الخيرات والشرور العليا، 1، 6. (بلوتارخ،) عن آراء الفلاسفة، ص. 249 [1، 12]. ستوبايوس، المصدر المذكور، ص. 40. ستوبايوس، مقتطفات طبيعية 1. ص. 33. «أبيقور». يقول إن الذرات تتحرك تارة في خط مستقيم، وتارة بانحراف، أما التي تتحرك إلى الأعلى فبسبب الاصطدام والاهتزاز. [المؤلف]

(2) شيشرون، عن طبيعة الآلهة 73، 26، 1. «... ما الذي يوجد في فيزياء أبيقور لا ينتمي إلى ديمقريطس؟ فعلى الرغم من أنه غيّر بعض الأشياء، مثل ما ذكرته للتو عن انحراف [inclinatio] الذرات. [المؤلف]

كثيراً ما كانت حركة الانحراف هذه موضوعاً للسخرية. شيشرون أكثر من أي شخص آخر لا ينضب عندما يتناول هذا الموضوع. وهكذا نقرأ عنده، من بين أمور أخرى:

«يؤكد إبيقور أن الذرات تُدفع للأسفل في خط مستقيم بوزنها؛ يقال إن هذه الحركة هي الحركة الطبيعية للأجسام. ولكن بعد ذلك خطر له أنه إذا كانت جميع الذرات تُدفع للأسفل، فلن تلتقي أي ذرة بذرة أخرى أبداً. لذلك لجأ إبيقور إلى كذبة. قال إن الذرة تصنع انحرافاً صغيراً جداً، وهو بالطبع مستحيل تماماً. من هذا نشأت التعقيدات، والتركيبات، والالتصاقات للذرات مع بعضها البعض، ومن هذا جاء العالم، وكل أجزائه ومحتوياته. بالإضافة إلى كون هذا كله اختراعاً صبيانياً، فإنه لا يحقق حتى ما يرغب فيه[1].»

نجد نسخة أخرى في الكتاب الأول لرسالة شيشرون «عن طبيعة الآلهة»:

«نظراً لأن إبيقور رأى أنه إذا سافرت الذرات للأسفل بوزنها الخاص،

(1) شيشرون، عن الغايات 19، 18، 1-6. «... (أبيقور) يعتبر إذن أن هذه الأجسام غير القابلة للقسمة والصلبة يجذبها وزنها بشكل مستقيم إلى الأسفل؛ هذه هي الحركة الطبيعية لجميع الأجسام. ثم أدرك هذا الرجل الحاد الذهن فجأة أنه إذا كانت جميع الذرات تتجه بمحاذاة بعضها من الأعلى إلى الأسفل، وبالتحديد، كما قيل، بشكل مستقيم، فلن تلتقي أي ذرة بأخرى أبداً. لذلك لجأ إلى كذبة [rem commentitiam]. فسّر أن الذرة تنحرف قليلاً جداً (بأقل قدر ممكن) جانباً؛ وبهذه الطريقة تنشأ تكتلات الذرات وارتباطاتها والتصاقاتها، ومن هذه يتكون العالم وجميع أجزائه وما فيه». [المؤلف]

فلن يكون أي شيء تحت سيطرتنا، لأن حركتها ستكون محددة وضرورية، فقد اخترع وسيلة للهروب من هذه الضرورة، وهي وسيلة كانت قد فاتت انتباه ديمقريطس. يقول إن الذرة، على الرغم من أنها مدفوعة للأسفل بوزنها وجاذبيتها، تصنع انحرافاً صغيراً جداً. أن نؤكد هذا أكثر إحراجاً من عدم القدرة على الدفاع عما يريد [1].»

يعبر «بيير بايل» عن رأي مشابه:

«قبله» (أي إبيقور) «كانت تُمنح للذرة فقط حركة الوزن وحركة الانعكاس.... افترض إبيقور أنه حتى في وسط الفراغ، تنحرف الذرات قليلاً عن الخط المستقيم، ومن هذا، قال، نشأت الحرية.... يجب أن نلاحظ، في المرور، أن هذا لم يكن الدافع الوحيد الذي دفعه إلى اختراع حركة الانحراف. استخدمها أيضاً لشرح لقاء الذرات؛ لأنه رأى بوضوح أنه على افتراض أنها [تسقط] تتحرك بنفس السرعة للأسفل على طول خطوط مستقيمة، فلن يتمكن أبداً من تفسير كيف يمكن أن تلتقي، وبالتالي فإن خلق العالم سيكون مستحيلاً. كان من الضروري، إذن، أن تنحرف عن الخط المستقيم [2].»

---

(1) شيشرون، عن طبيعة الآلهة 25، 1. «... أبيقور، عندما رأى أنه إذا كانت الذرات تُحمل إلى المكان الأسفل بوزنها الخاص، فلن يكون هناك شيء في قدرتنا، لأن حركتها ستكون محددة وضرورية، اكتشف طريقة للهروب من الضرورة، وهو ما فات ديمقريطس بوضوح؛ يقول إن الذرة، عندما تُحمل للأسفل بشكل مباشر بسبب الوزن والثقل، تنحرف قليلاً. إن قول هذا أكثر عاراً من عدم القدرة على الدفاع عما يريد». [المؤلف]

(2) بايل، «قاموس تاريخي ونقدي» مادة إبيقور. [المؤلف]

في الوقت الحالي أترك صلاحية هذه التأملات سؤالاً مفتوحاً. سيلاحظ الجميع في المرور أن أحدث ناقد لإبيقور، شاوباخ، قد أساء فهم شيشرون عندما قال:

«الذرات كلها مدفوعة للأسفل بفعل الجاذبية، وبالتالي متوازية، بسبب أسباب فيزيائية، ولكن من خلال التنافر المتبادل تكتسب حركة أخرى، وفقاً لشيشرون (عن طبيعة الآلهة، 69,25,1 حركة مائلة بسبب أسباب عرضية، وبالفعل من كل الأبدية[1].»

في المقام الأول، لا يجعل شيشرون في المقطع المقتبس التنافر سبباً للاتجاه المائل، بل بالأحرى الاتجاه المائل سبباً للتنافر. في المقام الثاني، لا يتحدث عن أسباب عرضية، بل ينتقد حقيقة أنه لا يتم ذكر أي أسباب على الإطلاق، كما لو كان متناقضاً في حد ذاته افتراض التنافر وفي نفس الوقت أسباب عرضية كسبب للاتجاه المائل. في أحسن الأحوال، يمكن للمرء بعد ذلك أن يتحدث عن أسباب عرضية للتنافر، وليس عن أسباب عرضية للاتجاه المائل.

أما بالنسبة لبقية الأمر، هناك خصوصية واضحة للغاية في تأملات شيشرون وبايل لا بد من تأكيدها على الفور. إنهم يفرضون على إبيقور دوافع يلغي أحدها الآخر. يُفترض أن إبيقور قد افترض انحراف الذرات من أجل تفسير التنافر في مناسبة، وفي مناسبة أخرى الحرية. ولكن إذا كانت الذرات

(1) شاوباخ، «عن المفاهيم الفلكية لإبيقور» في أرشيف اللغة والتربية، 5، 4، [1839،] ص. 549. [المؤلف]

لا تلتقي بدون انحراف، فإن الانحراف كتفسير للحرية يكون فائضاً عن الحاجة؛ لأن نقيض الحرية يبدأ، كما نرى عند لوكريتيوس[1]، فقط مع اللقاء الحتمي والإجباري للذرات. ولكن إذا التقت الذرات بدون انحراف، فإن هذا يكون فائضاً عن الحاجة لتفسير التنافر.

أؤكد أن هذا التناقض ينشأ عندما يتم فهم أسباب انحراف الذرة عن الخط المستقيم بشكل سطحي ومنفصل كما هو الحال عند شيشرون و«بايل»[2]. سنجد في «لوكريتيوس»[3] الوحيد بشكل عام من بين جميع القدماء الذي فهم الفيزياء الإبيقورية، عرضاً أكثر عمقاً.

سننظر الآن في الانحراف نفسه.

تماماً كما يتم نفي «aufgehoben»[4] النقطة في الخط، كذلك يتم نفي كل جسم ساقط في الخط المستقيم الذي يصفه. نوعيته المحددة لا تهم هنا

(1) لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء، 11، 251 وما بعدها. مرة أخرى، إذا كانت كل الحركات مترابطة دائماً، فإن الجديد ينشأ من القديم بترتيب محدد... فما هو مصدر الإرادة الحرة؟. [المؤلف]

(2) بايل (1647-1706): فيلسوف ومؤرخ فرنسي، صاحب «القاموس التاريخي والنقدي» الذي ناقش فيه الفلسفة الإبيقورية. [م]

(3) لوكريتيوس(99-55 ق.م): شاعر وفيلسوف روماني، مؤلف قصيدة «عن طبيعة الأشياء» التي تعد أهم مصدر للفلسفة الإبيقورية. [م]

(4) aufgehoben: صيغة الماضي من aufheben، تعني «ألغي وحُفظ وتُجوّز»، استخدمها ماركس لوصف مصير المفاهيم في التطور الجدلي. [م]

على الإطلاق. تصف التفاحة الساقطة خطاً عمودياً تماماً كما تفعل قطعة من الحديد. كل جسم، بقدر ما نحن معنيون بحركة السقوط، ليس شيئاً سوى نقطة متحركة، وبالفعل نقطة بدون استقلالية، التي في وضع معين من الوجود - الخط المستقيم الذي تصفه - تتخلى عن فرديتها [Einzelheit].

لذلك فإن أرسطو على حق عندما يعترض ضد الفيثاغوريين: «أنتم تقولون إن حركة الخط هي السطح، أن حركة النقطة هي الخط؛ إذن، فإن حركات المونادات ستكون أيضاً خطوطاً[1].» النتيجة المترتبة على ذلك بالنسبة للمونادات وكذلك للذرات ستكون بالتالي - بما أنها في حركة مستمرة[2] - أن لا وجود «للمونادات»[3] ولا للذرات، بل بالأحرى تختفي في الخط المستقيم؛ لأن صلابة الذرة لا تدخل حتى في الصورة، بقدر ما يتم اعتبارها فقط كشيء

(1) أرسطو، عن النفس I، 4، 409a 1-5. «كيف إذن نفترض أن الوحدة [monas] تتحرك، وبأي قوة وبأي طريقة، طالما أنها بلا أجزاء [amerês] وغير متمايزة [adiaforos]؟ لأنه إذا كانت مصدراً للحركة وقابلة للتحريك، فلا بد أن يتميز فيها شيء ما. وبما أنهم [الفيثاغوريون] يقولون أيضاً إن الخط عند حركته يشكل سطحاً والنقطة تشكل خطاً، فيجب أن تكون حركات الوحدات أيضاً خطوطاً». [المؤلف]

(2) ديوجين لايرتيوس 43، 10. «والذرات تتحرك باستمرار». سيمبليكيوس، في الموضع المذكور ص. 424. «[أتباع] أبيقور... [يقولون إن] الحركة أبدية». [المؤلف]

(3) المونادات: وحدات أو جواهر بسيطة في فلسفة ليبنتز، استخدمها ماركس للمقارنة مع ذرات ديمقريطس وإبيقور. [م]

يسقط في خط مستقيم.

للبدء، إذا تم تخيل الفراغ كفراغ مكاني، فإن الذرة هي النفي المباشر للفضاء المجرد، وبالتالي نقطة مكانية. الصلابة، الكثافة، التي تحافظ على نفسها ضد عدم تماسك الفضاء، يمكن إضافتها فقط بفضل مبدأ ينفي الفضاء في مجاله بأكمله، مبدأ مثل الزمن في الطبيعة الحقيقية. علاوة على ذلك، إذا لم يتم قبول ذلك، فإن الذرة، بقدر ما تكون حركتها خطاً مستقيماً، تكون محددة فقط بالفضاء وتُوصف بوجود نسبي ووجود مادي خالص. لكننا رأينا أن أحد لحظات مفهوم الذرة هو أنها شكل نقي، نفي لكل نسبية، لكل علاقة مع وضع وجود آخر. لقد لاحظنا في نفس الوقت أن إبيقور يُجسّد موضوعياً لنفسه اللحظتين اللتين، على الرغم من تناقضهما، هما متأصلتان في مفهوم الذرة.

كيف يمكن لإبيقور إذن أن يجعل تحديد الشكل الخالص للذرة، مفهوم الفردية الخالصة، الذي ينفي أي وضع وجود محدد من قبل كائن آخر، واقعاً؟

بما أنه يتحرك في مجال الوجود المباشر، فإن جميع التحديدات مباشرة. التحديدات المتعارضة تتعارض إذن مع بعضها البعض كحقائق مباشرة.

لكن الوجود النسبي الذي يواجه الذرة، وضع الوجود الذي يجب أن تنفيه، هو الخط المستقيم. النفي المباشر لهذه الحركة هو حركة أخرى، والتي، بالتالي، متصورة مكانياً، هي الانحراف عن الخط المستقيم.

الذرات هي أجسام ذاتية الاكتفاء تماماً أو بالأحرى أجسام متصورة في استقلالية مطلقة، مثل الأجرام السماوية. ومن ثم، مرة أخرى مثل الأجرام

السماوية، فإنها لا تتحرك في خطوط مستقيمة، بل في خطوط مائلة. حركة السقوط هي حركة عدم الاكتفاء الذاتي.

إذا افترض إبيقور إذن المادية الذرة من حيث حركتها على طول خط مستقيم، فقد أعطى واقعاً لتحديد شكلها في الانحراف عن الخط المستقيم، وهذه التحديدات المتعارضة تُمثَّل كحركات متعارضة مباشرة.

لذلك فإن لوكريتيوس على حق عندما يؤكد أن «الانحراف يكسر fati foedera،» «روابط القدر»[1]، وبما أنه يطبق هذا مباشرة على الوعي[2]، يمكن أن يقال عن الذرة أن الانحراف هو ذلك الشيء في صدرها الذي يمكن أن يقاتل ويقاوم.

ولكن عندما يوبخ شيشرون إبيقور بأن «لا يصل حتى إلى الهدف الذي من أجله اخترع كل هذا - لأنه إذا انحرفت جميع الذرات، فلن تتحد أي منها أبداً، أو أن بعضها سينحرف، والبعض الآخر سيدفع إلى الأمام بحركتها. لذلك سيكون من الضروري كما لو كان إعطاء الذرات مهام محددة مسبقاً: التي يجب أن تتحرك في خط مستقيم والتي بشكل مائل[3]»، هذا الاعتراض له

(1) لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء 251، 2 وما يليها. «إذا ... ولا تصنع العناصر الأولية بانحرافها مبدأ للحركة، مبدأ معيناً، يكسر روابط القدر، حتى لا تتبع العلة العلة من اللانهاية». [المؤلف]

(2) المصدر نفسه، 279-280 ، 2. ... هناك داخل الصدر البشري شيء يمكن أن يقاتل ضد هذه القوة ويقاومها. [المؤلف]

(3) شيشرون، عن الخيرات والشرور العليا، 1، 6، 19-20 . ... ومع ذلك فإنه لا يصل

ما يبرره من حيث أن اللحظتين المتأصلتين في مفهوم الذرة تُمثَّلان كحركات مختلفة مباشرة، وبالتالي يجب تخصيصهما لأفراد مختلفين: تناقض، ولكنه متسق، لأن مجال الذرة هو الفورية.

يشعر إبيقور بهذا التناقض المتأصل جيداً. لذلك يسعى إلى تمثيل الانحراف بأنه غير محسوس قدر الإمكان للحواس؛ فهو يحدث في زمان، في مكان غير محدد (لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء، 294، 2)[1]. يحدث في أصغر مساحة ممكنة [2].

علاوة على ذلك، يوبخ شيشرون[3]، ووفقاً لبلوتارخ، العديد من المؤلفين القدماء[4]، إبيقور لقوله إن انحراف الذرة يحدث بدون سبب. لا شيء أكثر عاراً،

إلى الهدف الذي من أجله تم اختراع هذه الخدعة. لأنه، إذا انحرفت جميع الذرات، فلن يتماسك أي منها أبداً مع بعضها البعض؛ أو إذا انحرف البعض بينما يسافر البعض الآخر في خط مستقيم، فسيكون ذلك في المقام الأول بمثابة تعيين مجالات عمل مختلفة للذرات، البعض للسفر في خط مستقيم والبعض بشكل جانبي. [المؤلف]

(1) لوكريتيوس، المصدر المذكور، 293. [المؤلف]

(2) شيشرون، عن القدر 10، 22. «الذرة تنحرف بأقصر مسافة ممكنة، وهو ما يستخدم له كلمة ἐλάχιστον [إلاخيستون، الأصغر]». [المؤلف]

(3) شيشرون، عن القدر 10، 22. «أن الانحراف يحدث بدون سبب، هذا ما يجب عليه أن يعترف به، وإن لم يكن بشكل صريح، فمن خلال الواقع نفسه». [المؤلف]

(4) بلوتارخ، عن خلق النفس (المجلد 6. ص. 8 طبعة ستير.) «فهم [الرواقيون] لا يوافقون أبيقور ولا بأقل درجة على انحراف الذرة، لأنه يُدخل حركة بلا سبب من اللاوجود». [المؤلف]

يقول شيشرون، يمكن أن يحدث لفيزيائي[1]. ولكن، في المقام الأول، سبب فيزيائي كما يريد شيشرون سيعيد انحراف الذرة إلى مجال الحتمية، الذي كان من المفترض بالتحديد أن يرفع منه. وبعد ذلك، فإن الذرة ليست مكتملة على الإطلاق قبل أن تخضع لتحديد الانحراف. البحث عن سبب هذا التحديد يعني بالتالي البحث عن السبب الذي يجعل الذرة مبدأً - استفسار عديم المعنى بوضوح لأي شخص بالنسبة له الذرة هي سبب كل شيء، وبالتالي بدون سبب هي نفسها.

أخيراً، بايل [2]، مدعوماً بسلطة أوغسطين [3] الذي يقول إن ديمقريطس أسند إلى الذرة مبدأً روحياً - وهي سلطة، بالمناسبة، التي بالمقارنة مع أرسطو والقدماء الآخرين هي بدون أي أهمية - يوبخ إبيقور لتفكيره في مفهوم الانحراف بدلاً من هذا المبدأ الروحي.

لكن، على العكس، كان سيتم فقط كسب كلمة بهذه «روح الذرة»، في حين أن الانحراف يمثل الروح الحقيقية للذرة، مفهوم الفردية المجردة.

قبل أن ننظر في نتيجة انحراف الذرة عن الخط المستقيم، يجب أن نلفت

(1) شيشرون، عن الخيرات والشرور العليا، 191,6,1. الانحراف نفسه هو خيال تعسفي (لأن إبيقور يقول إن الذرات تنحرف بدون سبب، ومع ذلك فهذه جريمة رأسمالية في فيلسوف طبيعي، أن يتحدث عن شيء يحدث بدون سبب]. ثم أيضاً يحرم الذرات عن طيب خاطر مما أعلن هو نفسه أنه الحركة الطبيعية لجميع الأجسام الثقيلة، أي الحركة في خط مستقيم للأسفل.[المؤلف]

(2) بايل، المصدر المذكور. [المؤلف]

(3) أوغسطين، الرسالة 56. [المؤلف]

الانتباه إلى عنصر آخر مهم جداً، والذي تم تجاهله تماماً حتى الآن.

انحراف الذرة عن الخط المستقيم ليس، تحديداً، تحديداً خاصاً يظهر عرضاً في الفيزياء الإبيقورية. على العكس، القانون الذي يعبر عنه يمر عبر الفلسفة الإبيقورية بأكملها، بطريقة، مع ذلك، كما هو مفهوم ضمناً، أن تحديد ظهوره يعتمد على المجال الذي يتم تطبيقه فيه.

في الواقع، الفردية المجردة يمكنها أن تجعل مفهومها، تحديد شكلها، الوجود الخالص لذاتها، الاستقلال عن الوجود المباشر، نفي كل نسبية، فعالاً فقط من خلال التجريد من الوجود الذي يواجهها؛ لأنه من أجل التغلب عليه حقاً، كان على الفردية المجردة أن تجرده، وهو أمر يمكن أن تحققه فقط العمومية.

وهكذا، بينما تحرر الذرة نفسها من وجودها النسبي، الخط المستقيم، بالتجريد منه، بالانحراف عنه؛ فإن الفلسفة الإبيقورية بأكملها تنحرف عن وضع الوجود المقيد أينما يجب تمثيل مفهوم الفردية المجردة، والاكتفاء الذاتي، ونفي كل علاقة بأشياء أخرى في وجودها.

لذلك يوجد غرض العمل في التجريد، والانحراف عن الألم والارتباك، في الأتاراكسيا (الهدوء الفكري) [1]. ومن ثم، فإن الخير هو الهروب من الشر[2]

(1) ديوجينيس لايرتيوس، 128، 10. لأن غاية كل أفعالنا هي أن نكون أحراراً من الألم والخوف.

(2) بلوتارخ، أن إبيقور يجعل الحياة السعيدة مستحيلة في الواقع، 1091. إبيقور أيضاً يدلي ببيان مماثل بمعنى أن الخير هو شيء ينشأ من هروبك من الشر نفسه. [المؤلف]

والمتعة هي الانحراف عن المعاناة[1]. أخيراً، حيث تظهر الفردية المجردة في أعلى حرية واستقلالية لها، في كليتها، يتبع ذلك أن الكائن الذي يتم الانحراف عنه هو كل الوجود، لذلك، تنحرف الآلهة عن العالم، ولا تهتم به وتعيش خارجه[2].

كثيراً ما تعرضت آلهة إبيقور للسخرية، هذه الآلهة التي، مثل البشر، تسكن في « الانترموندیا»[3] [المساحات بين العوالم، حرفياً: بين العوالم]، وليس لها جسد ولكن شبه جسد، ولا دم ولكن شبه دم[4]، وهي مكتفية بالبقاء في سلام مبارك، لا تستمع إلى أي توسل، وغير مهتمة بنا وبالعالم، تُكرَّم بسبب جمالها وعظمتها وطبيعتها المتفوقة، وليس من أجل أي مكسب.

ومع ذلك، فإن هذه الآلهة ليست من اختراع إبيقور. لقد كانت موجودة بالفعل. إنها آلهة مرنة للفن اليوناني.شيشرون، الروماني، يسخر منها بحق[5]،

(1) كليمنت الإسكندري، المتنوعات، 2، ص. 415... ولكن أبيقور يقول إن التحرر من الألم هو اللذة». [المؤلف]

(2) سينيكا، عن المنافع 4، ص. 699. «لذلك، لا يُقدّم الإله منافع، بل هو آمن وغير مبال بنا، منصرف عن العالم؛ ولا تؤثر فيه الأعمال الطيبة، كما لا تؤثر فيه الإساءات». [المؤلف]

(3) الانترموندیا: «ما بين العوالم»، مصطلح إبيقوري يشير إلى الفضاءات بين العوالم المتعددة حيث تعيش الآلهة في نعيم وعزلة. [م]

(4) شيشرون، عن طبيعة الآلهة 24، 1. ... فقد كنت تقول، إنه ليس للإله جسد، بل شبه جسد، وليس له دم، بل شبه دم». [المؤلف]

(5) شيشرون، عن طبيعة الآلهة، 112-115.... أي طعام أو أي مشروبات، أي تنوع في

ولكن بلوتارخ، اليوناني، قد نسي وجهة النظر اليونانية بأكملها عندما يدعي أنه على الرغم من أن هذه العقيدة عن الآلهة تقضي على الخوف والخرافة، فإنها لا تنتج فرحاً ولا تفضيلاً في الآلهة، بل بدلاً من ذلك تمنحنا تلك العلاقة معهم التي لدينا مع «سمك هركانيا»[1] الذي لا نتوقع منه ضرراً ولا فائدة[2]. الهدوء النظري هو إحدى الخصائص الرئيسية للآلهة اليونانية. كما يقول أرسطو:

«ما هو أفضل ليس في حاجة إلى الفعل، لأنه غاية نفسه[3]».

ننظر الآن في النتيجة التي تتبع مباشرة من انحراف الذرة. يُعبر فيها عن

الأصوات أو الزهور، أي تجارب لمسية أو روائح تقدمها للإله وأنت تحاول إغراقه باللذات؟... وكيف يمكنك أن تقول إن البشر يجب أن يهتموا بالآلهة، عندما لا تهتم الآلهة فقط بالبشر، بل لا تهتم بشيء على الإطلاق ولا تفعل شيئاً؟ لكن [قد تجيب بأن] طبيعتهم متميزة ومثالية للغاية، لدرجة أنها تجذب الحكيم لتكريمها كما لو كان ذلك من تلقاء نفسه. لكن هل يمكن أن يكون هناك أي شيء متميز في كائن يبتهج بلذته الخاصة لدرجة أنه لم يفعل أبداً، ولا يفعل، ولن يفعل أي شيء؟» [المؤلف]

(1) سمك هركانيا: سمك يعيش في بحر قزوين (هركانيا قديماً)، استخدمه بلوتارخ كمثال لاستقلال آلهة إبيقور عن الشؤون البشرية. [م]

(2) بلوتارخ، عن أنه لا يمكن العيش بسعادة وفقاً لأبيقور، ص. 1100-1101. «منطقهم يزيل الخوف والخرافة، لكنه لا يمنح البهجة والفرح من الآلهة؛ بل يجعلنا نتعامل معهم بعدم الاضطراب وعدم السرور، تماماً كما نتعامل مع أسماك هيركانيا، لا نتوقع منهم لا خيراً ولا شراً». [المؤلف]

(3) أرسطو، «عن السماء» 12، 2. «ولكن الكائن الذي هو في أفضل حالة لا يحتاج إلى أي عمل؛ لأنه هو نفسه غايته». [المؤلف]

نفي الذرة لجميع الحركات والعلاقات التي يتم تحديدها بها كوضع وجود معين من قبل كائن آخر. وهذا مُمثل بطريقة تجعل الذرة تتجرد من الكائن المعارض وتنسحب منه. لكن ما هو مُتضَمن هنا، وهو نفيها لجميع العلاقات مع شيء آخر، يجب أن يتحقق، يجب أن يُثبَت بشكل إيجابي. هذا لا يمكن القيام به إلا إذا كان الكائن الذي ترتبط به ليس غيرها، وبالتالي ذرة بالمثل، وبما أنها محددة بشكل مباشر، فهي العديد من الذرات. تنافر الذرات العديدة هو بالتالي التحقق الضروري [لـ lex atomi، قانون الذرة] كما يسميها «لوكريتيوس» الانحراف [1]. ولكن نظراً لأن كل تحديد هنا يتم إنشاؤه كوجود خاص، فإن التنافر يُضاف كحركة ثالثة إلى الحركات السابقة. لذلك فإن لوكريتيوس على حق عندما يقول إنه إذا لم تكن الذرات لتنحرف، فلن يحدث تنافرها ولقائها، ولم يكن العالم ليُخلق أبداً [2]. لأن الذرات هي موضوعها الوحيد ولا يمكن أن ترتبط إلا بنفسها، ومن ثم، بالتحدث بمصطلحات مكانية، لا يمكن أن تلتقي إلا لأن كل وجود نسبي لهذه الذرات الذي من خلاله ترتبط بكائنات

(1) لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء، 11، 221، 223-224. لولا هذا الانحراف، لسقط كل شيء للأسفل مثل قطرات المطر عبر هاوية الفضاء. لن يحدث أي تصادم ولن يحدث أي تأثير للذرة على الذرة. وهكذا لم تخلق الطبيعة أي شيء. [المؤلف]

(2) المصدر نفسه، 2، 284-292. وهكذا أيضاً في الذرات... إلى جانب الوزن والتأثير يجب أن يكون هناك سبب ثالث للحركة، مصدر هذه القوة الفطرية لدينا.... لكن حقيقة أن العقل نفسه ليس لديه ضرورة داخلية لتحديد كل فعل واضطراره إلى المعاناة في سلبية عاجزة - هذا يرجع إلى الانحراف الطفيف للذرات.... [المؤلف]

أخرى يتم نفيه. وهذا الوجود النسبي هو، كما رأينا، حركتها الأصلية، أي السقوط في خط مستقيم. وبالتالي فإنها تلتقي فقط بفضل انحرافها عن الخط المستقيم. ليس له علاقة بالتجزئة المادية البحتة [1].

وفي الحقيقة: الفردية الموجودة بشكل مباشر يتم تحقيقها مفاهيمياً، بقدر ما ترتبط بشيء آخر هو في الواقع نفسها - حتى عندما يواجهها الشيء الآخر في شكل وجود مباشر. وهكذا يتوقف الإنسان عن أن يكون نتاجاً للطبيعة فقط عندما يكون الكائن الآخر الذي يرتبط به ليس وجوداً مختلفاً ولكنه إنسان فردي بحد ذاته، حتى لو لم يكن بعد العقل. ولكن لكي يصبح الإنسان كإنسان موضوعه الحقيقي الخاص، يجب أن يكون قد سحق في داخله وجوده النسبي، قوة الرغبة والطبيعة المجردة. التنافر هو الشكل الأول للوعي الذاتي، وبالتالي فهو يتوافق مع ذلك الوعي الذاتي الذي يتصور نفسه كوجود مباشر - كفردية مجردة.

مفهوم الذرة يتحقق إذن في التنافر، بقدر ما أنه شكل مجرد، ولكن لا يقل عن ذلك أيضاً نقيضه، بقدر ما أنه مادة مجردة؛ لأن ذلك الذي يرتبط به يتكون، ليكون حقيقياً، من ذرات، ولكن ذرات أخرى. ولكن عندما أرتبط بنفسي كشيء هو مباشرة شيء آخر، فإن علاقتي هي علاقة مادية. هذه هي أقصى درجة من الخارجية التي يمكن تصورها. في تنافر الذرات، بالتالي، فإن

(1) أرسطو، «عن السماء»-276، 11، 7، 1. إذا كان الكل ليس، إذا كان الكل ليس متصلاً، ولكن موجوداً، كما يعتقد ديمقريطس وليوسيبوس، في شكل أجزاء منفصلة بواسطة الفراغ، فيجب بالضرورة أن تكون هناك حركة واحدة للجمهور كله. ... ولكن طبيعتها واحدة، مثل العديد من قطع الذهب المنفصلة عن بعضها البعض. [المؤلف]

ماديتها، التي كانت محددة في السقوط في خط مستقيم، وتحديد الشكل، الذي تم إنشاؤه في الانحراف، يتم توحيدهما بشكل تركيبي.

ديمقريطس، على النقيض من إبيقور، يحول إلى حركة إجبارية، إلى فعل الضرورة العمياء، ما هو بالنسبة لإبيقور تحقيق مفهوم الذرة. لقد رأينا أعلاه بالفعل أنه يعتبر الدوامة (دين) الناتجة عن تنافر واصطدام الذرات على أنها جوهر الضرورة. لذلك فهو يرى في التنافر فقط الجانب المادي، التجزئة، التغيير، وليس الجانب المثالي، الذي وفقاً له يتم نفي جميع العلاقات مع شيء آخر، ويتم إنشاء الحركة كتحديد ذاتي. يمكن رؤية هذا بوضوح من حقيقة أنه يتصور جسماً واحداً مقسماً عبر الفضاء الفارغ إلى أجزاء كثيرة بشكل حسي تماماً، مثل الذهب المنكسر إلى قطع[1]. وبالتالي فهو بالكاد تصور الواحد كمفهوم للذرة.

يجادل أرسطو بشكل صحيح ضده: «ومن ثم، فإن ليوسيبوس وديمقريطس، اللذين يؤكدان أن الأجسام الأولية تتحرك دائماً في الفراغ واللانهائي، يجب أن يقولا ما هو نوع هذه الحركة، وما هي الحركة الطبيعية لها. لأنه إذا كان كل عنصر يتحرك بالقوة من قبل الآخر، فلا يزال من الضروري أن يكون لكل منها أيضاً حركة طبيعية، خارج الحركة الإجبارية. ويجب ألا تكون هذه الحركة الأولى إجبارية بل طبيعية. وإلا فإن الإجراء يستمر إلى ما لا نهاية[2].»

(1) أرسطو، عن السماء، 4-6، 292b. «لكن الكائن الذي في أفضل حالة ممكنة لا يحتاج إلى أي أنشطة. فهو غايته في ذاته. [المؤلف]

(2) المصدر نفسه 300، 9-10. ومن هنا ليوسيبوس وديمقريطس، اللذان يقولان إن الأجسام الأولية في حركة دائمة في الفراغ أو اللانهائي، قد يُسألان لشرح طريقة

إن انحراف الذرة الإبيقوري غيّر إذن الهيكل الداخلي بأكمله لمجال الذرات، لأنه من خلاله يتم التحقق من تحديد الشكل ويتم تحقيق التناقض المتأصل في مفهوم الذرة. لذلك كان إبيقور هو أول من أدرك جوهر التنافر - حتى لو كان في شكل حسي فقط، بينما لم يعرف ديمقريطس سوى وجوده المادي.

ومن ثم نجد أيضاً أشكالاً أكثر ملموسة للتنافر التي يطبقها إبيقور. في المجال السياسي هناك الميثاق[1]، وفي المجال الاجتماعي الصداقة، التي تمدح كأعلى خير.

حركتهم ونوع الحركة التي هي طبيعية لهم. لأنه إذا كانت العناصر المختلفة مقيدة من قبل بعضها البعض للتحرك كما تفعل، فلا يزال لكل منها حركة طبيعية يتناقض معها الإكراه، ويجب أن يسبب المحرك الأول الحركة ليس بالإكراه بل بشكل طبيعي. إذا لم يكن هناك سبب طبيعي نهائي للحركة وكان كل حد سابق في السلسلة يتحرك دائماً بالإكراه، فسنحصل على عملية لا نهائية. [المؤلف]

(1) ديوجينيس لايرتيوس، 150، 10. تلك الحيوانات العاجزة عن إبرام عهود مع بعضها البعض، بهدف ألا تلحق ضرراً أو تعاني منه، هي بدون عدالة أو ظلم. وتلك القبائل التي إما لم تستطع أو لم ترغب في تكوين عهود متبادلة لنفس الغاية هي في حالة مماثلة. لم يكن هناك أبداً عدالة مطلقة، بل فقط اتفاق تم إبرامه في التواصل المتبادل، في أي موقع، من وقت لآخر، من وقت لآخر، يوفر ضد إلحاق الضرر أو معاناته. [المؤلف]

الفصل الثاني

خصائص الذرة

يتناقض مع مفهوم الذرة أن يكون للذرة خصائص، لأنه كما يقول إبيقور، كل خاصية متغيرة ولكن الذرات لا تتغير [1]. ومع ذلك، فمن النتيجة الضرورية أن تُنسب خصائص إلى الذرات. في الواقع، فإن العديد من ذرات التنافر المنفصلة بفضاء حسي يجب بالضرورة أن تكون مختلفة مباشرة عن بعضها البعض وعن جوهرها الخالص، أي يجب أن تمتلك صفات.

في التحليل التالي، لذلك، لا أخذ في الاعتبار التأكيد الذي قدمه شنايدر ونورنبرغر أن «إبيقور لم ينسب أي صفات إلى الذرات، الفقرات 44 و54 من الرسالة إلى «هيرودوتس»[2] في ديوجينيس لايرتيوس قد تم إدراجها». إذا

(1) ديوجينيس لايرتيوس، 54، 10. لأن كل صفة تتغير، لكن الذرات لا تتغير. لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء، 2، 862-863. يجب إبعادها [الصفات] عن الذرات، إذا كنا نرغب في توفير أسس غير قابلة للفناء للكون يمكن أن ترتكز عليها بأمان.. [المؤلف]

(2) هيرودوتس: صديق لإبيقور أرسل إليه رسالة مهمة تلخص نظريته الفيزيائية والذرية، حفظها ديوجينيس لايرتيوس. [م]

كان هذا صحيحاً حقاً، فكيف يمكن للمرء أن يبطل شهادة «لوكريتيوس»، وبلوتارخ، وبالفعل جميع المؤلفين الآخرين الذين يتحدثون عن إبيقور؟ علاوة على ذلك، يذكر ديوجينيس لايرتيوس خصائص الذرة ليس في فقرتين، بل في عشر فقرات: الأرقام 61,59,58,57,56,55,54,45,44,43,42.. الأسباب التي يقدمها هؤلاء النقاد لوجهة نظرهم - أنهم «لم يعرفوا كيف يوفقون بين خصائص الذرة ومفهومها» - هي سطحية للغاية.

يقول «سبينوزا» [1] إن الجهل ليس حجة. [سبينوزا، الأخلاق، الجزء الأول، الاقتراح 36، الملحق] إذا كان المرء سيحذف المقاطع في القدماء التي لا يفهمها، فما أسرع أن يكون لدينا صفحة فارغة!

من خلال الخصائص تكتسب الذرة وجوداً يتناقض مع مفهومها؛ فهي تُفترض ككائن مُحارَج مختلف عن جوهرها. هذا هو التناقض الذي يهم إبيقور بشكل رئيسي. ومن ثم، بمجرد أن يضع خاصية ويستخلص بالتالي نتيجة الطبيعة المادية للذرة، فإنه يضع في المقابل في نفس الوقت تحديدات تدمر مرة أخرى هذه الخاصية في مجالها الخاص وتصدق بدلاً من ذلك على مفهوم الذرة. لذلك فإنه يحدد جميع الخصائص بطريقة تناقض نفسها.

ديمقريطس، من ناحية أخرى، لا ينظر أبداً في الخصائص فيما يتعلق بالذرة نفسها، ولا يجسد موضوعياً التناقض بين المفهوم والوجود المتأصل

(1) سبينوزا (1632-1677): فيلسوف هولندي، استشهد به ماركس في قوله «الجهل ليس حجة» للرد على منتقدي تناقضات إبيقور. [م]

فيها. كل اهتمامه ينصب بالأحرى على تمثيل الخصائص فيما يتعلق بالطبيعة الملموسة، التي يجب تشكيلها منها. بالنسبة له إنها مجرد فرضيات لشرح التعددية التي تظهر. يتبع ذلك أن مفهوم الذرة ليس له علاقة بها.

من أجل إثبات تأكيدنا، من الضروري أولاً توضيح المصادر التي يبدو أنها تتناقض هنا مع بعضها البعض.

في رسالة De placitis philosophorum نقرأ:

«يؤكد إبيقور أن الذرات لها ثلاث خصائص: الحجم والشكل والوزن. افترض ديمقريطس اثنتين فقط: الحجم والشكل. أضاف إبيقور الوزن كثالث[1].»

يتكرر نفس المقطع كلمة بكلمة في Praeparatio evangelica ليوسيبيوس.[2]

(1) (بلوتارخ)، عن آراء الفلاسفة [3، 1]. إبيقور... يؤكد أن... الأجسام تخضع لهذه الحوادث الثلاثة، الشكل والحجم والوزن. ديمقريطس [اعترف] باثنتين فقط: الحجم والشكل. أضاف إبيقور الثالثة، أي الوزن، لأنه أعلن أنه من الضروري أن تتلقى الأجسام حركتها من ذلك الاندفاع الذي ينبع من الوزن. قارن مع سكستوس إمبيريكوس، ضد الرياضيين. [المؤلف]

(2) يوسيبيوس، تحضير الإنجيل، 14، ص. 749. [المؤلف]

يؤكده شهادة سيمبليسيوس[1] وفيلوبونوس[2]، اللذين وفقاً لهما نسب ديمقريطس إلى الذرات فقط الاختلاف في الحجم والشكل. يتعارض مع ذلك مباشرة ما كتبه أرسطو الذي، في كتاب De generations et corruptions، ينسب إلى ذرات ديمقريطس الاختلاف في الوزن [3].

في مقطع آخر (في الكتاب الأول من De caelo) يترك أرسطو دون حسم مسألة ما إذا كان ديمقريطس قد نسب الوزن إلى الذرات أم لا، لأنه يقول:

«وهكذا لن يكون أي من الأجسام خفيفاً مطلقاً إذا كان لها جميعاً وزن؛ ولكن إذا كان لها جميعاً خفة، فلن يكون أي منها ثقيلاً [4]».

(1) سيمبليكيوس، المصدر المذكور، ص. 362. ...إعطاء (أي ديمقريطس) لهم (أي الذرات) الاختلاف فيما يتعلق بالحجم والشكل. [المؤلف]

(2) فيلوبونوس، المصدر نفسه. هو (ديمقريطس) يعين طبيعة مشتركة فريدة للجسم لجميع الأشكال؛ أجزاؤها هي الذرات، التي تختلف عن بعضها البعض في الحجم والشكل؛ لأنها لا تملك فقط شكلاً مختلفاً ولكن بعضها أكبر، والآخرون أصغر. [المؤلف]

(3) أرسطو، عن الكون والفساد 8، 1. «على الرغم من أنه (ديمقريطس) يقول إن (الذرة) أثقل وفقاً للزيادة». [المؤلف]

(4) أرسطو، عن السماء 7، 1. «من هذه الأشياء، كما نقول، يجب أن تكون الحركة نفسها.... وهكذا فلن يكون أي من الأجسام خفيفاً ببساطة، إذا كانت كلها ذات وزن؛ وإذا كانت ذات خفة، فلن يكون أي منها ثقيلاً. وأيضاً، إذا كان لها وزن أو خفة، فسيكون هناك إما حد للكل، أو مركز. [المؤلف]

في تاريخه للفلسفة القديمة، يرفض «ريتر»[1]، معتمداً على سلطة أرسطو، تأكيدات بلوتارخ ويوسيبيوس وستوبايوس[2]. إنه لا ينظر في شهادة سيمبليسيوس[3] وفيلوبونوس[4].

دعنا نرى ما إذا كانت هذه المقاطع متناقضة حقاً. في المقطع المذكور، لا يتحدث أرسطو عن خصائص الذرة ex professo.[كشخص يعرف مهنته] من ناحية أخرى، نقرأ في الكتاب الثامن من الميتافيزيقا:

«يفترض ديمقريطس ثلاثة اختلافات بين الذرات. لأن الجسم الأساسي واحد ونفسه فيما يتعلق بالمادة، ولكنه يختلف في «ريسموس» [5]، بمعنى

---

(1) ريتر (1791-1869): مؤرخ فلسفة ألماني، مؤلف «تاريخ الفلسفة القديمة» الذي ناقش فيه الاختلاف بين ديمقريطس وإبيقور. [م]

(2) ريتر، تاريخ الفلسفة القديمة [بالألمانية]، 1، ص. 568، ملاحظة 2 [الطبعة الثانية المحسنة، 1836، ص. 602، ملاحظة 2]. [المؤلف]

(3) سيمبليسيوس (560-490 م): فيلسوف يوناني متأخر، كتب تعليقات شاملة على أعمال أرسطو وأفلاطون. حفظت تعليقاته آراء ونصوص مهمة من الفلاسفة السابقين، خاصة فلاسفة ما قبل سقراط. يُعتبر مصدراً لا غنى عنه لدراسة الفلسفة القديمة. [المؤلف]

(4) فيلوبونوس (570-490 م): يوحنا فيلوبونوس، فيلسوف وعالم لاهوت مسيحي من الإسكندرية. كتب تعليقات على أرسطو ونقد بعض نظرياته الفيزيائية. ساهم في تطوير مفهوم القوة المحركة وانتقد نظرية أرسطو عن الحركة. [المؤلف]

(5) ريسموس: مصطلح يوناني استخدمه ديمقريطس للإشارة إلى «الشكل» كأحد الاختلافات الأساسية بين الذرات. [م]

الشكل، في «تروب»[1]، بمعنى الموضع، أو في «دياثيج»[2]، بمعنى الترتيب[3]».

هذا القدر يمكن استنتاجه مباشرة من هذا المقطع! «ديمقريطس لا يضع التناقض بين جودة الذرة ومفهومها». لا يُذكر الوزن كخاصية للذرات الديمقريطية. قطع المادة المجزأة، المحفوظة بعيداً عن بعضها البعض بواسطة الفراغ، يجب أن يكون لها أشكال خاصة، وهذه مُدركة بشكل خارجي تماماً من ملاحظة الفضاء.

يتضح هذا بشكل أكبر من المقطع التالي لأرسطو:

«يرى ليوسيبوس ورفيقه ديمقريطس أن العناصر هي الممتلئ والفارغ.... هذه هي أساس الوجود كمادة. تماماً مثل أولئك الذين يفترضون مادة أساسية واحدة فقط ويولدون كل الأشياء الأخرى بتأثيراتها، يفترضون الندرة والكثافة كمبادئ للصفات - بنفس الطريقة يعلم ليوسيبوس وديمقريطس أيضاً أن الاختلافات بين الذرات هي أسباب الأشياء الأخرى، لأن الكائن الأساسي

(1) تروب: مصطلح يوناني استخدمه ديمقريطس للإشارة إلى «الموضع» أو «الاتجاه» كأحد الاختلافات بين الذرات. [م]

(2) دياثيج : مصطلح يوناني استخدمه ديمقريطس للإشارة إلى «الترتيب» كأحد الاختلافات بين الذرات. [م]

(3) أرسطو، الميتافيزيقا، 8، 2 ,1042، 11-141. يبدو أن ديمقريطس يعتقد أن هناك ثلاثة أنواع من الاختلافات بين الأشياء [الذرات]؛ الجسم الأساسي، المادة، واحد ونفسه، لكنها تختلف إما في الإيقاع، أي الشكل، أو في الدوران، أي الموضع، أو في الاتصال البيني، أي الترتيب. [المؤلف]

يختلف فقط من خلال «ريسموس»، «دياثيج» و«تروب».... أي، A يختلف عن N في الشكل، A.N. عن N.A. في الترتيب، Z عن N في الموضع[1].

من الواضح من هذا الاقتباس أن ديمقريطس ينظر في خصائص الذرة فقط فيما يتعلق بتكوين الاختلافات في عالم المظاهر، وليس فيما يتعلق بالذرة نفسها. يتبع كذلك أن ديمقريطس لا يفرد الوزن كخاصية أساسية للذرات. بالنسبة له، يُعتبر الوزن أمراً مفروغاً منه، لأن كل ما هو جسدي له وزن. وبنفس الطريقة، وفقاً له، حتى الحجم ليس تحديداً أساسياً. إنه تحديد عرضي موجود بالفعل للذرات إلى جانب الشكل. فقط تنوع الأشكال هو ما يهم ديمقريطس، لأنه لا يوجد شيء أكثر مما هو متضمن في الشكل والموضع والترتيب. الحجم والشكل والوزن، من خلال دمجها كما يفعل إبيقور، هي اختلافات تمتلكها الذرة في ذاتها. الشكل والموضع والترتيب هي اختلافات

(1) المصدر نفسه، 4-191. ليوسيبوس ورفيقه ديمقريطس يقولان إن الممتلئ والفارغ هما العناصر، ويسميان الأول وجوداً والآخر لا وجوداً - الممتلئ والصلب وجوداً، الفارغ لا وجوداً (ومن هنا يقولان إن الوجود ليس أكثر من اللا وجود، لأن الصلب ليس أكثر من الفارغ)؛ ويجعلون منها الأسباب المادية للأشياء. وكما أن أولئك الذين يجعلون المادة الأساسية واحدة يولدون كل الأشياء الأخرى من خلال تعديلاتها، ويفترضون أن النادر والكثيف هما مصادر التعديلات، وبنفس الطريقة يقول هؤلاء الفلاسفة إن الاختلافات في العناصر هي أسباب كل الصفات الأخرى. هذه الاختلافات، كما يقولون، هي ثلاثة - الشكل والنظام والوضع. لأنهم يقولون إن الواقع لا يختلف إلا بـ«الإيقاع» و«الاتصال البيني» و«الدوران»؛ ومن بين هذه الإيقاع هو الشكل، والاتصال البيني هو النظام، والدوران هو الوضع؛ لأن أ يختلف عن ن في الشكل، أن عن نأ في النظام، وز عن ن في الوضع. [المؤلف]

تمتلكها الذرة فيما يتعلق بشيء آخر. بينما نجد في ديمقريطس مجرد تحديدات افتراضية لشرح عالم المظاهر، فإن إبيقور يقدم لنا نتيجة المبدأ نفسه.

لذلك سنناقش بالتفصيل تحديداته لخصائص الذرة.

أولاً، الذرات لها حجم[1]. ولكن بعد ذلك، يتم نفي الحجم أيضاً. أي، ليس لديها كل حجم؛[2] ولكن يجب قبول بعض الاختلافات في الحجم بينها[3]. في الواقع، يمكن فقط نسب نفي الكبير إليها، الصغير[4] – وليس الحد الأدنى، لأن هذا سيكون مجرد تحديد مكاني، بل الصغير اللانهائي، الذي يعبر عن التناقض[5].

(1) ديوجينيس لايرتيوس 10, 44. ...الذرات ليس لها أي صفة على الإطلاق باستثناء الشكل والحجم والوزن. ... علاوة على ذلك، أنها ليست من أي حجم وكل حجم؛ على أي حال لم تُرَ أي ذرة بحواسنا. [المؤلف]

(2) ديوجينيس لايرتيوس، 56، 10. لكن نسب أي وكل حجم إلى الذرات لا يساعد على تفسير الاختلافات في نوعية الأشياء؛ علاوة على ذلك، في تلك الحالة ستوجد ذرات كبيرة بما يكفي لأن تُدرك من قبلنا، وهو أمر لم يُلاحظ حدوثه أبداً؛ ولا يمكننا أن نتصور كيف يمكن أن يحدث مثل هذا الحدث، أي أن تصبح الذرة مرئية. [المؤلف]

(3) المصدر نفسه، 55، 10. مرة أخرى، يجب ألا تفترض أن الذرات يمكن ان يكون لها أي حجم... ولكن يجب قبول بعض الاختلافات في الحجم. [المؤلف]

(4) المصدر نفسه، 59، 10. على غرار الأشياء ضمن تجربتنا، أعلنا أن الذرة لها حجم؛ وهذا، رغم صغره، قمنا بإعادة إنتاجه فقط على نطاق أكبر. [المؤلف]

(5) قارن المصدر نفسه، 58، 10. ستوبايوس، الاختيارات الفيزيائية، 1، ص. 27. [المؤلف]

«روسينيوس»[1]، في ملاحظاته على شذرات إبيقور؛ لذلك يترجم مقطعاً بشكل غير صحيح ويتجاهل تماماً المقطع الآخر، عندما يقول:

«بهذه الطريقة حاول إبيقور أن يجعل رقة الذرات ذات الصغر غير المعقول معقولة، بقوله، وفقاً «للايرتيوس»[2]، 44، 10، أنها ليس لها حجم[3].»

الآن لن أشغل نفسي بحقيقة أنه وفقاً «ليوسيبيوس»، كان إبيقور أول من نسب الصغر اللانهائي إلى الذرات[4]، بينما افترض ديمقريطس أيضاً ذرات من أكبر حجم - يقول ستوبايوس حتى بحجم العالم [5].

هذا، من ناحية، يتناقض مع شهادة أرسطو[6]. من ناحية أخرى،

(1) روسينيوس: عالم كلاسيكي قام بجمع وتحرير شذرات إبيقور في القرن التاسع عشر. [م]

(2) بروكر (1696-1770): مؤرخ فلسفة ألماني، انتقد بعض جوانب الفلسفة الإبيقورية في كتابه «مؤسسات تاريخ الفلسفة». [م]

(3) إبيقور، شذرات (عن الطبيعة، 2 و 11)، جمعها روسينيوس، طبعة أوريلي، ص. 26. [المؤلف]

(4) يوسيبيوس، تحضير الإنجيل، 14، ص. 773 (طبعة باريس). لكنهم اختلفوا في أن أحدهم (أي إبيقور) افترض أن جميع الذرات صغيرة للغاية ولا يمكن إدراكها، بينما افترض ديمقريطس أن بعض الذرات الكبيرة موجودة أيضاً. [المؤلف]

(5) ستوبايوس، الاختيارات الفيزيائية، 17، 1. يقول ديمقريطس حتى... أن الذرة ممكنة بحجم العالم. قارن مع (بلوتارخ)، عن آراء الفلاسفة، ص. 235 31، 11. [المؤلف]

(6) أرسطو، عن الكون والفساد والزوال، 1324، 301.غير مرئي. بسبب صغر حجمها. [المؤلف]

يوسيبيوس، أو بالأحرى الأسقف السكندري «ديونيسيوس»، الذي يأخذ منه مقتطفات، يتناقض مع نفسه؛ لأننا نقرأ في نفس الكتاب أن ديمقريطس افترض كمبادئ للطبيعة أجساماً غير قابلة للتجزئة يمكن إدراكها من خلال العقل[1]. هذا القدر على الأقل واضح: لم يكن ديمقريطس على دراية بالتناقض؛ لم يلتفت إليه، بينما كان الاهتمام الرئيسي لإبيقور.

الخاصية الثانية للذرات الإبيقورية هي الشكل[2]. لكن هذا التحديد يتناقض أيضاً مع مفهوم الذرة، ويجب افتراض نقيضه. الفردية المجردة هي هوية مجردة- لذاتها وبالتالي بدون شكل. لا يمكن تحديد الاختلافات في شكل الذرات بالتالي[3]، على الرغم من أنها ليست لانهائية على الإطلاق[4]. بل بعدد محدد ونهائي من

(1) يوسيبيوس، التحضير للإنجيل، 14، ص. 749. ديمقريطس... [افترض]... كمبادئ للأشياء، أجساماً غير قابلة للتجزئة... يمكن إدراكها من خلال العقل.... قارن مع (بلوتارخ)، عن آراء الفلاسفة، ص 235,1. [المؤلف]

(2) ديوجينيس لايرتيوس، 54، 10. علاوة على ذلك، يجب أن نعتقد أن الذرات في الواقع لا تمتلك أياً من الصفات التي تنتمي إلى العالم والتي تقع تحت ملاحظتنا، باستثناء الشكل والوزن والحجم، والخصائص المرتبطة بالضرورة بالشكل. [المؤلف]

(3) المصدر نفسه، 42، 10. علاوة على ذلك، الذرات... تختلف بشكل غير محدد في أشكالها. [المولف]

(4) المصدر نفسه، 42، 10. ... لكن تنوع الأشكال، رغم أنه أكبر بشكل غير محدود، ليس لانهائياً بشكل مطلق. [المؤلف]

الأشكال تتمايز الذرات عن بعضها البعض[1]. من الواضح من هذا أنه لا توجد أشكال مختلفة بقدر ما توجد ذرات[2] بينما يفترض ديمقريطس عدداً لانهائياً من الأشكال[3]. إذا كان لكل ذرة شكل خاص، فسيكون هناك ذرات بحجم لانهائي[4]؛

---

(1) لوكريتيوس 513، 2 وما يليها. «يجب أن تعترف، بأن المادة أيضاً تختلف بأشكال محدودة». يوسيبيوس، تحضير الإنجيل 14، ص. 749. «أبيقور.... [يقول] إن.... أشكال الذرات قابلة للإدراك، وليست غير محدودة». قارن مع (بلوتارخ) عن آراء الفلاسفة، الموضع المذكور. [المؤلف]

(2) ديوجينيس لايرتيوس، 42، 10. الذرات المتشابهة من كل شكل هي لانهائية مطلقاً. لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء، 11، 525-528. بما أن تنوعات الشكل محدودة، فإن عدد الذرات الموحدة يجب أن يكون غير محدود. وإلا فإن مجموع المادة سيكون محدوداً، والذي أثبتت في أبياتي أنه ليس كذلك. [المؤلف]

(3) أرسطو، عن السماء، 3، 4 303، 10-15، [3-5]. هناك، علاوة على ذلك، وجهة نظر أخرى - وهي نظرية ليوسيبوس وديمقريطس من أبديرا - تداعياتها غير مقبولة أيضاً.... علاوة على ذلك، يقولون أنه بما أن الأجسام الذرية تختلف في الشكل، وهناك عدد لانهائي من الأشكال، فهناك عدد لانهائي من الأجسام البسيطة. لكنهم لم يشرحوا قط بالتفصيل أشكال مختلف العناصر، باستثناء أنهم خصصوا الكرة للنار. الهواء والماء وما تبقى..، فيلوبونوس، المصدر المذكور. لديهم... ليس فقط أشكال مختلفة تماماً.... [المؤلف]

(4) لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء 297,295,292,291,484,474,2... عدد الأشكال المختلفة للذرات محدود. ولو لم يكن الأمر كذلك، لكان على بعض الذرات أن تكون بحجم لانهائي. ضمن الحدود الضيقة لأي جسيم مفرد، يمكن أن يكون هناك فقط نطاق محدود من الأشكال... إذا كنت ترغب في تغيير شكله أكثر...

لأن لديها اختلاف لانهائي، اختلاف عن كل الآخرين، في ذاتها [an sich]، مثل «مونادات ليبنتز»[1]. هذا يؤدي إلى عكس تأكيد ليبنتز أنه لا يوجد شيئان متطابقان، وهناك ذرات لانهائية من نفس الشكل. وهذا بوضوح ينفي مرة أخرى تحديد الشكل، لأن الشكل الذي لم يعد يختلف عن آخر ليس شكلاً[2].

أخيراً، من المهم للغاية أن إبيقور يجعل الوزن الصفة الثالثة[3]، لأنه في مركز الجاذبية تمتلك المادة الفردية المثالية التي تشكل تحديداً رئيسياً للذرة. ومن ثم، بمجرد إدخال الذرات في مجال التمثيل، يجب أن يكون لها أيضاً وزن.

لكن الوزن يتناقض أيضاً مباشرة مع مفهوم الذرة، لأنه هو فردية المادة كنقطة مثالية تقع خارج المادة. لكن الذرة هي نفسها هذه الفردية، كما لو كان مركز الجاذبية مقدماً كوجود فردي. لذلك فإن الوزن موجود بالنسبة لإبيقور فقط كوزن مختلف، والذرات هي نفسها مراكز جوهرية للجاذبية مثل الأجرام السماوية. إذا تم تطبيق هذا على الملموس، فإن النتيجة الواضحة

فإن الترتيب سيتطلب أجزاء أخرى.... الاختلاف في الشكل يذهب مع زيادة الحجم. لا يمكنك أن تعتقد، إذن، أن الذرات تتميز بعدد لانهائي من الأشكال.[المؤلف]

(1) مونادات ليبنتز: نظرية فلسفية لليبنتز تقول إن العالم يتكون من وحدات بسيطة غير مادية مشابهة للذرات لكنها روحية. [م]

(2) قارن مع الملاحظة 25. [المؤلف]

(3) ديوجينيس لايرتيوس، 44، 10 و 54. [المؤلف]

هي الحقيقة التي يجدها «بروكر»[1] القديم مدهشة بشكل كبير[2] والتي يؤكدها لوكريتيوس[3]، وهي أن الأرض ليس لها مركز تسعى إليه كل الأشياء، وأنه لا توجد «أنتيبوديس»[4] «أناس يعيشون على الجانب المقابل من الأرض». علاوة على ذلك، بما أن الوزن ينتمي فقط إلى تلك الذرة التي تختلف عن الأخرى، وبالتالي تكون خارجية ومزودة بخصائص، فمن الواضح أنه حيث لا يتم التفكير في الذرات كعديدة في تمايزها عن بعضها البعض، ولكن فقط فيما يتعلق بالفراغ، يتوقف وجود تحديد الوزن. تتحرك الذرات إذن، مختلفة قدر ما تكون في الكتلة والشكل، بنفس السرعة في الفضاء الفارغ[5]. يطبق

(1) بروكر (1696-1770): مؤرخ فلسفة ألماني، انتقد بعض جوانب الفلسفة الإبيقورية في كتابه «مؤسسات تاريخ الفلسفة». [م]

(2) بروكر، مؤسسات تاريخ الفلسفة [باللاتينية، 1747]، ص. 224. [المؤلف]

(3) لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء 1051-1052, 1. في هذه الأمور، يا ميميوس، ابتعد بعيداً عن ذلك الاعتقاد،الذي ينشره الكثيرون، بأن كل شيء يميل نحو مركز الكون». [المؤلف]

(4) أنتيبوديس: مصطلح يوناني يعني «أقدام متقابلة»، يشير إلى الاعتقاد بوجود أناس يعيشون على الجانب المقابل من الأرض بحيث تكون أقدامهم متجهة عكس أقدامنا. رفض إبيقور هذا المفهوم نتيجة لنظريته عن الجاذبية وطبيعة الأرض.[م]

(5) ديوجينيس لايرتيوس، 43، 10. تتحرك الذرات بنفس السرعة، لأن الفراغ يفسح المجال للأخف والأثقل على حد سواء طوال الأبدية.... 61. عندما تسافر عبر الفراغ ولا تواجه أي مقاومة، يجب أن تتحرك الذرات بنفس السرعة. لن تسافر الذرات الثقيلة بسرعة أكبر من الصغيرة والخفيفة، طالما لم يقابلوا شيئاً، ولن تتحرك الذرات

إبيقور بالتالي الوزن فقط فيما يتعلق بالتنافر والتكوينات الناتجة عنه. هذا أدى إلى التأكيدات بأن تكتلات الذرات فقط هي المجهزة بالوزن، وليس الذرات نفسها.

يثني غاسندي بالفعل على إبيقور لأنه، بقيادة العقل البحت، استبق الحقيقة المثبتة تجريبياً أن جميع الأجسام، على الرغم من اختلافها الكبير في الوزن والكتلة، لها نفس السرعة عندما تسقط من الأعلى إلى الأسفل [1].

إن النظر في خصائص الذرات يقودنا بالتالي إلى نفس النتيجة كالنظر في الانحراف، وهي أن إبيقور يجعل موضوعياً التناقض في مفهوم الذرة بين

الصغيرة بسرعة أكبر من الكبيرة، شريطة أن تجد دائماً ممراً مناسباً لحجمها؛ وشريطة ألا يواجهوا أي عائق. لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء، 235-239 ,2. لكن الفضاء الفارغ لا يمكن أن يقدم مقاومة لأي شيء في أي ربع في أي وقت، بحيث لا ينتج عنه مرور حر كما تقتضي طبيعته الخاصة. لذلك، من خلال الفراغ غير المضطرب، يجب أن تسافر جميع الأجسام بنفس السرعة على الرغم من أنها مدفوعة بأوزان غير متساوية. [المؤلف]

(1) فويرباخ، «تاريخ الفلسفة الحديثة» . [1833، اقتباسات من غاسندي، المصدر المذكور، 33، رقم [7. على الرغم من أن إبيقور ربما لم يفكر أبداً في هذه التجربة، [مع ذلك] توصل، بقيادة العقل، إلى نفس الرأي حول الذرات الذي علمتنا إياه التجربة مؤخراً. هذا الرأي هو أن جميع الأجسام، على الرغم من اختلافها الكبير في الوزن والحجم، لها نفس السرعة عندما تسقط من أعلى إلى أسفل. وهكذا كان يرى أن جميع الذرات، مهما اختلفت في الحجم والوزن، تتحرك بنفس السرعة. [المؤلف]

الجوهر والوجود. وهكذا قدم لنا علم الذرات. في ديمقريطس، من ناحية أخرى، لا يوجد تحقيق للمبدأ نفسه. إنه يحافظ فقط على الجانب المادي ويقدم فرضيات لصالح الملاحظة التجريبية.

الفصل الثالث

مبادئ الذرات وعناصر الذرات

«شاوباخ»[1]، في رسالته عن المفاهيم الفلكية لإبيقور، التي أشرنا إليها بالفعل، يقدم التأكيد التالي:

«لقد ميز إبيقور، وكذلك أرسطو، بين المبادئ «الأنفانج»[2] (atomoi archai، ديوجينيس لايرتيوس، 41، 10) والعناصر (atoma stoiche-ia، ديوجينيس لايرتيوس، 86، 10). الأولى هي الذرات التي يمكن التعرف عليها فقط من خلال العقل ولا تشغل حيزاً من الفضاء[3]. تسمى هذه ذرات

(1) شاوباخ: عالم كلاسيكي ألماني في القرن التاسع عشر، كتب عن المفاهيم الفلكية لإبيقور وناقشها ماركس. [م]

(2) الأنفانج (Anf-nge): كلمة ألمانية تعني «البدايات» أو «المبادئ»، استخدمها ماركس لترجمة المصطلح اليوناني «أرخاي». [م]

(3) Ametocha kenou [ستوبايوس، الاختيارات الفيزيائية، 1، ص. 306] لا تعني على الإطلاق «لا تملأ الفضاء»، ولكن «ليس لها جزء من الفراغ»، وهي نفس ما يقوله ديوجينيس لايرتيوس في مكان آخر: «على الرغم من أنها بدون تمييز للأجزاء». وبنفس الطريقة يجب أن نفسر هذا التعبير في (بلوتارخ)، عن آراء الفلاسفة، 1، ص.

ليس لأنها أصغر الأجسام، ولكن لأنها غير قابلة للتجزئة في الفضاء. وفقاً لهذه التصورات، يمكن للمرء أن يعتقد أن إبيقور لم ينسب أي خصائص مكانية إلى الذرة [1]. ولكن في الرسالة إلى هيرودوتس (ديوجينيس لايرتيوس، 54، 44، 10) يعطي الذرات ليس فقط الوزن ولكن أيضاً الحجم والشكل.... لذلك أعتبر هذه الذرات منتمية إلى النوع الثاني، تلك التي تطورت من السابقة ولكن لا تزال يمكن اعتبارها مرة أخرى جسيمات أولية للأجسام [2].

دعنا ننظر عن كثب إلى المقطع الذي يقتبسه شاوباخ من ديوجينيس لايرتيوس. ينص على: على سبيل المثال، مثل هذه الاقتراحات بأن الكل يتكون من أجسام وطبيعة غير جسدية، أو أن هناك عناصر غير قابلة للتجزئة وعبارات أخرى مماثلة. هنا يعلم إبيقور «بيثوكليس»، الذي يكتب إليه، أن تعاليم النيازك (الأجرام السماوية) تختلف عن جميع العقائد الأخرى في الفيزياء، على سبيل المثال، أن كل شيء إما جسم أو فراغ، أن هناك عناصر أساسية غير قابلة للتجزئة. من الواضح أنه لا يوجد هنا سبب لافتراض أنه مسألة نوع ثانٍ من الذرات [3].

قد يبدو أن الانفصال بين «الكل المكون من أجسام وأجسام غير

236، وسيمبليسيوس، ص. 405. [المؤلف]

(1) هذه أيضاً نتيجة خاطئة. ذلك الذي لا يمكن تقسيمه في الفضاء ليس بالضرورة خارج الفضاء أو بدون علاقة مكانية. [المؤلف]

(2) شاوباخ، المصدر المذكورص. 549-550. [المؤلف]

(3) ديوجينيس لايرتيوس، 44، 10. [المؤلف]

جسدية» و«أن هناك عناصر غير قابلة للتجزئة» يؤسس اختلافاً بين «الجسم» [soma] و«العناصر غير القابلة للتجزئة» [aroma stoicheia]، بحيث يمكننا أن نقول إن جسم تقف من أجل ذرات من النوع الأول بالتناقض مع العناصر الذرية [atoma stoicheia]. لكن هذا خارج السؤال تماماً. جسم يعني الجسدي في مقابل الفراغ، الذي لهذا السبب يسمى أسوماتون [1]. لذلك فإن مصطلح جسم [soma] يشمل الذرات وكذلك الأجسام المركبة. على سبيل المثال، في الرسالة إلى هيرودوتس نقرأ: «الكل هو جسم... لو لم يكن هناك ما نسميه فراغاً، وفضاء وطبيعة غير جسدية.... من بين الأجسام بعضها مركب، والآخر الأشياء التي تتكون منها المركبات، وهذه الأخيرة غير قابلة للتجزئة وغير قابلة للتغيير.... وبالتالي فإن هذه المبادئ الأولى هي بالضرورة ذات طبيعة جسدية غير قابلة للتجزئة [2]» يتحدث إبيقور إذن في المقطع المذكور أولاً عن الجسدي بشكل عام، في مقابل الفراغ، ثم عن الجسدي بشكل خاص، الذرات.

إن إشارة شاوباخ إلى أرسطو لا تثبت شيئاً أيضاً. صحيح أن الفرق بين arche وstoicheion، الذي يصر عليه الرواقيون بشكل خاص [3] يمكن

(1) المصدر نفسه، 67، 10. لكن من المستحيل تصور أي شيء غير جسدي كموجود بذاته، باستثناء الفضاء الفارغ. [المؤلف]

(2) المصدر نفسه، 40، 39، 10 و 41. [المؤلف]

(3) المصدر نفسه، 7، [الفصل] 1 [134]. هناك فرق، وفقاً لهم (أي الرواقيين)، بين المبادئ والعناصر؛ الأولى بدون تكوين أو تدمير، بينما العناصر تُدمر عندما تتحلل

العثور عليه بالفعل في أرسطو[1]، لكنه مع ذلك يفترض هوية التعبيرين[2]. إنه حتى يعلم بشكل صريح أن stoicheion يدل في المقام الأول على الذرة[3].

ليوسيبوس وديمقريطس يسميان كذلك الامتلاء والفراغ [4].

في لوكريتيوس، في رسائل إبيقور كما اقتبسها ديوجينيس لايرتيوس، في كولوتيس لبلوتارخ[5]، في سكستوس إمبيريكوس[6]، تُنسب الخصائص إلى الذرات نفسها، ولهذا السبب تم تحديدها كمتجاوزة لذاتها [sich selbst aufhebend] [7].

كل الأشياء إلى نار. المؤلف

(1) أرسطو، الميتافيزيقا، 3، 1 و 4. [المؤلف]

(2) قارن مع المصدر المذكور. [المؤلف]

(3) المصدر نفسه، 3، 4 [31-34]. وبالمثل، أولئك الذين يتحدثون عن عناصر الأجسام يقصدون الأشياء التي تنقسم إليها الأجسام في النهاية، بينما لا تنقسم بعد ذلك إلى أشياء أخرى تختلف في النوع؛ ... ولهذا السبب ما هو صغير وبسيط وغير قابل للتقسيم يسمى عنصراً. [المؤلف]

(4) المصدر نفسه، 4، 1. [المؤلف]

(5) ديوجينيس لايرتيوس، 54، 10. بلوتارخ، الرد على كولوتيس، 1110. ... أن هذا الرأي لا ينفصل عن نظريات إبيقور كما أن الشكل والوزن بتأكيدهم (أي الإبيقوريين) لا ينفصلان عن الذرة. [المؤلف]

(6) سكستوس إمبيريكوس، ضد الرياضيين، ص. 420. [المؤلف]

(7) تعني: «يلغي نفسه بنفسه» أو «ينقض ذاته بنفسه. وهذه العبارة تُستخدم كثيرًا في

ومع ذلك، إذا أُعتبر تناقضاً أن الأجسام القابلة للإدراك فقط بالعقل يجب أن تكون مجهزة بخصائص مكانية، فإنه تناقض أكبر حتى أن الخصائص المكانية نفسها لا يمكن إدراكها إلا من خلال العقل[1].

أخيراً، يستشهد شاوباخ، لدعم وجهة نظره بشكل أكبر، بالمقطع التالي من ستوبايوس: «إبيقور [يقول] أن الأجسام الأولية يجب أن تكون بسيطة، أما الأجسام المركبة منها فيجب أن يكون لها وزن»

إلى هذا المقطع من ستوبايوس يمكن إضافة ما يلي، حيث يتم ذكر ato-ma stoicheia كنوع خاص من الذرة: (بلوتارخ.) De placit. philosoph.، 1، 246 و 249، و Stob.، الاختيارات الفيزيائية، 1، ص. 5.[2] أما بالنسبة للبقية فلا يُدعى على الإطلاق في هذه المقاطع أن الذرات

السياقات الفلسفية، خاصة عند هيغل (Hegel)،وعليه، فإن «sich selbst aufhebend» يمكن أن تُترجم بشكل أعمق في السياق الهيغلي إلى: «يتجاوز ذاته عبر نفيها» أو «ينقض نفسه ليرتقي إلى مستوى أعلى». [م]

(1) يوسيبيوس، تحضير الإنجيل، 14، ص. 773. ... إبيقور... [افترض أنها [أي الذرات] لا يمكن إدراكها.... ص. 749. ... لكنها [أي الذرات] لها شكلها الخاص القابل للإدراك بالعقل. [المؤلف]

(2) (بلوتارخ.) De placit. philosoph.، 1، 246 و 249، و Stob.، الاختيارات الفيزيائية، 1، ص. 5. ستوبايوس، الاختيارات الفيزيائية، 1، ص. 52. متوذورس، معلم إبيقور، [يقول]... أن الأسباب، مع ذلك، هي الذرات والعناصر. ص. 5. إبيقور [يفترض]... أربع مواد غير قابلة للتدمير جوهرياً: الذرات، الفراغ، اللانهائي

الأصلية بدون حجم أو شكل أو وزن. على العكس من ذلك، يُذكر الوزن وحده كخاصية مميزة للمبادئ الذرية [atomoi archai] والعناصر الذرية [atoma stoicheia]. لكننا لاحظنا بالفعل في الفصل السابق أن الوزن يُطبق فقط فيما يتعلق بالتنافر والتكتلات الناتجة عنه.

باختراع العناصر الذرية لا نكسب أيضاً شيئاً. من الصعب بنفس القدر الانتقال من المبادئ الذرية إلى العناصر الذرية كما هو صعب نسب الخصائص إليها مباشرة.

ومع ذلك، لا أنكر مثل هذا التمييز بشكل كامل. أنا فقط أنكر أن هناك نوعين مختلفين وثابتين من الذرات. بل هي بالأحرى تحديدات مختلفة لنفس النوع.

قبل مناقشة هذا الاختلاف، أود أن ألفت الانتباه إلى إجراء نموذجي لإبيقور. إنه يجب افتراض التحديدات المختلفة لمفهوم كوجودات مستقلة مختلفة. تماماً كما أن مبدأه هو الذرة، فإن طريقة إدراكه نفسها ذرية. لكل لحظة من لحظات التطور تتحول على الفور في يديه إلى واقع ثابت والتي، كما لو كانت منفصلة عن علاقاتها بأشياء أخرى بواسطة فضاء فارغ؛ كل تحديد يأخذ شكل الفردية المعزولة.

قد يتضح هذا الإجراء من خلال المثال التالي.

يستخدم اللانهائي، «to apeiron، أو infinitio»[1]، كما يترجمه

والأجزاء المتشابهة، وتسمى homoeomerias والعناصر. [المؤلف]

(1) الكلمة (apeiron) ἄπειρον: هي مصطلح يوناني قديم يُنسب إلى الفيلسوف

شيشرون، في بعض الأحيان من قبل إبيقور كطبيعة خاصة؛ وبالضبط في نفس المقاطع التي نجد فيها العناصر موصوفة كمادة أساسية ثابتة، نجد أيضاً apeiron محولاً إلى شيء مستقل[1]. ومع ذلك، وفقاً لتعريفات إبيقور نفسها، فإن اللانهائي ليس مادة خاصة ولا شيئاً خارج الذرات والفراغ، بل هو بالأحرى تحديد عرضي للفراغ.

نجد في الواقع ثلاثة معانٍ لـ «apeiron» .

1. يعبر «apeiron» بالنسبة لإبيقور عن صفة مشتركة للذرات والفراغ. يعني بهذا المعنى لانهائية الكل، الذي هو لانهائي بفضل العدد اللانهائي للذرات، بفضل الحجم اللانهائي للفراغ[2].

[يفترض]... أربع مواد غير قابلة للتدمير جوهرياً: الذرات، الفراغ، اللانهائي والأجزاء المتشابهة، وتسمى «homoeomerias»[3] والعناصر.

أنكسيمندرس (Anaximander)، وتُعد من المفاهيم الأساسية في الفلسفة ما قبل السقراطية. «غير المحدود» أو «اللامتناهي».[م]

(1) قارن مع المصدر المذكور. [المؤلف]

(2) شيشرون، عن الخيرات والشرور العليا، 6، 1. ما يتبعه الذرات، الفراغ. اللانهائي نفسه، الذي يسمونه [أي الإبيقوريون] apeiria ديوجينيس لايرتيوس، 41، 10. مرة أخرى، إن مجموع الأشياء لا نهائي.... علاوة على ذلك، فإن مجموع الأشياء غير محدود سواء بسبب تعدد الذرات أو مدى الفراغ. [المؤلف]

(3) الكلمة homoeomerias وفي اليونانية: ὁμοιομέρειαι) هي مصطلح فلسفي يوناني قديم، ارتبط أساسًا بالفيلسوف أنكساغوراس (Anaxagoras)، وتُترجم إلى

2. يعبر «apeiria» هي تعددية الذرات، بحيث ليست الذرة، بل الذرات اللانهائية العدد، هي التي توضع في مقابل الفراغ [1].

3. إذا جاز لنا أن نستخلص من ديمقريطس استنتاجاً حول إبيقور، فإن apeiron يعني أيضاً على وجه التحديد العكس، الفراغ اللامحدود، الذي يوضع في مقابل الذرة المحددة في ذاتها والمحدودة بذاتها [2].

في كل هذه المعاني - وهي المعاني الوحيدة، حتى المعاني الوحيدة الممكنة للذرية - فإن اللانهائي هو مجرد تحديد للذرات وللفراغ. ومع ذلك، يتم اختياره كوجود مستقل، حتى يُعين كطبيعة محددة إلى جانب المبادئ التي يعبر تحديدها عنها.

لذلك، حتى لو ثبت إبيقور نفسه التحديد الذي تصبح به الذرة عنصراً كنوع أصلي مستقل للذرة - وهو ما ليس عليه الحال حكماً من التفوق التاريخي لمصدر على آخر، حتى لو كان «ميترودوروس»[3] تلميذ إبيقور - كما يبدو أكثر

العربية بـ: «المتشابهات» أو «الذرات المتشابهة الأجزاء». [م]

(1) بلوتارخ، الرد على كولوتيس، 1114. انظر الآن إلى نوع المبادئ الأولى [التي يتبناها أنتم الناس] لحساب التكوين: اللانهائي والفراغ - الفراغ العاجز عن العمل، العاجز عن التأثر، غير الجسدي؛ اللانهائي مضطرب، غير عقلاني، -غير قابل للصياغة، يعطل ويربك نفسه بسبب تعددية تتحدى السيطرة أو التحديد. [المؤلف]

(2) سيمبليسيوس، المصدر المذكور، ص. 488. [المؤلف]

(3) ميترودوروس (330-277 ق.م): تلميذ وصديق مقرب لإبيقور، طور بعض تفسيراته للذرات والكون. [م]

احتمالاً لنا - هو أول من حول التحديد المتمايز إلى وجود متمايز [1]؛ يجب أن نعزو إلى الوضع الذاتي للوعي الذرية تغيير اللحظات المنفصلة إلى شيء موجود بشكل مستقل. منح شكل الوجود للتحديدات المختلفة لم يؤد إلى فهم اختلافها.

بالنسبة لديمقريطس، تعني الذرة فقط «stoicheion»[2] ركيزة مادية. التمييز بين الذرة كـ «arche»[3] والذرة كـ stoicheion كمبدأ وأساس ينتمي إلى إبيقور. سوف تتضح أهميته مما يلي.

التناقض بين الوجود والجوهر، بين المادة والشكل، الذي هو متأصل في مفهوم الذرة، يظهر في الذرة الفردية نفسها بمجرد تزويدها بالصفات. من خلال الصفة تغترب الذرة عن مفهومها، لكنها في الوقت نفسه تكتمل في بناءها. من التنافر وما ينتج عنه من تكتلات للذرات المؤهلة ينشأ الآن عالم الظاهرة.

(1) (بلوتارخ)، عن آراء الفلاسفة، ص.239,5,1. لكن ميترودوروس يقول... أن عدد العوالم لا نهائي، ويمكن رؤية ذلك من حقيقة أن عدد الأسباب لا نهائي.... لكن الأسباب هي الذرات أو العناصر. ستوبايوس، الاختيارات الفيزيائية، 1، ص. 52. ميترودوروس، معلم إبيقور، [يقول]... أن الأسباب، مع ذلك، هي الذرات والعناصر. [المؤلف]

(2) Stoicheion (στοιχεῖον): مصطلح يوناني يعني «العنصر» أو «المكوّن الأساسي»، استخدمه فلاسفة اليونان، خاصة أرسطو، للدلالة على أبسط جزء تتكون منه الأشياء، ويُعد أصلاً لمفهوم «العناصر الأربعة» وللمصطلح اللاتيني elementum. [م]

(3) arche: كلمة يونانية تعني «مبدأ» أو «أصل»، استخدمها إبيقور للإشارة إلى الذرات كمبادئ أولية. [م]

في هذا الانتقال من عالم الجوهر إلى عالم الظاهرة، يصل التناقض في مفهوم الذرة بوضوح إلى أقسى تحقيق له. لأن الذرة هي من الناحية المفاهيمية الشكل المطلق والأساسي للطبيعة. تم تخفيض هذا الشكل المطلق الآن إلى مادة مطلقة، إلى ركيزة بلا شكل لعالم الظاهرة.

الذرات هي، صحيح، جوهر الطبيعة[1]، التي منها ينبثق كل شيء، والتي فيها كل شيء يذوب[2] لكن الدمار المستمر لعالم الظاهرة لا يأتي بنتيجة. تتشكل ظواهر جديدة؛ لكن الذرة نفسها تبقى دائماً في القاع كأساس[3].

(1) لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء، 1، 820-821. لأن نفس العناصر تشكل السماء والبحر والأرض والأنهار والشمس والمحاصيل والأشجار والحيوانات.... ديوجينيس لايرتيوس، 39، 10. علاوة على ذلك، كان مجموع الأشياء دائماً كما هو الآن، وهكذا سيبقى إلى الأبد. لأنه لا يوجد شيء يمكن أن يتغير إليه. لأنه خارج مجموع الأشياء لا يوجد شيء يمكن أن يدخل فيها ويُحدث التغيير.... كل الوجود يتكون من أجسام.... 41. هذه العناصر غير قابلة للتجزئة وغير قابلة للتغيير، وبالضرورة كذلك، إذا لم تكن جميع الأشياء ستُدمر وتصبح غير موجودة، بل تكون قوية بما يكفي للبقاء عندما تتفكك الأجسام المركبة، لأنها تمتلك طبيعة صلبة وهي غير قادرة على أن تكون في أي مكان أو بأي طريقة محلولة. [المؤلف]

(2) ديوجينيس لايرتيوس، 73، 10. ... وجميع الأشياء تتحلل مرة أخرى، بعضها أسرع، وبعضها أبطأ، بعضها من خلال عمل مجموعة واحدة من الأسباب، والبعض الآخر من خلال عمل مجموعة أخرى. 74. من الواضح، إذن، أنه [إبيقور] يجعل العوالم أيضاً قابلة للفناء، لأن أجزاءها تخضع للتغيير. [المؤلف]

(3) والأرض والبحر ذات الفيضانات الغير مسبورة. إنها تكمن مفتوحة بشكل هائل

وهكذا بقدر ما تُعتبر الذرة كمفهوم خالص، فإن وجودها هو الفضاء الفارغ، الطبيعة المُلغاة. بقدر ما تمضي إلى الواقع، فإنها تنزل إلى الأساس المادي الذي، كحامل لعالم من العلاقات المتعددة، لا يوجد أبداً إلا في أشكال غير مبالية وخارجية بالنسبة له. هذه نتيجة ضرورية، لأن الذرة، المفترضة كفرد مجرد وكامل، لا يمكن أن تتحقق باعتبارها القوة المثالية المتخللة لهذا التنوع.

الفردية المجردة هي حرية من الوجود، وليست حرية في الوجود. لا يمكنها أن تتألق في ضوء الوجود. هذا عنصر تفقد فيه هذه الفردية طابعها وتصبح مادية. لهذا السبب لا تدخل الذرة في ضوء النهار للظواهر[1] أو تنزل إلى الأساس المادي عندما تدخله. إن الذرة كذرة موجودة فقط في الفراغ. وهكذا أصبح موت الطبيعة جوهرها الخالد؛ ويصرخ لوكريتيوس بحق:

عندما يطالب الموت الخالد بحياته الفانية (De rerum natura 869، 3)[2].

ولكن حقيقة أن إبيقور يدرك التناقض عند هذه الذروة العليا ويجعله موضوعياً، وبالتالي يميز الذرة حيث تصبح أساس الظاهرة كعنصر [-stoi cheion] عن الذرة كما هي موجودة في الفراغ كمبدأ «arche» [3] - هذا

وتواجههم بهوة فاغرة. [م]

(1) لوكريتيوس، 796، 2. ...والذرات لا تظهر في الضوء.... [المؤلف]

(2) De rerum natura: «عن طبيعة الأشياء»، القصيدة الفلسفية للوكريتيوس التي تشرح المذهب الإبيقوري. [م]

(3) Arche (ἀρχή): مصطلح يوناني يعني «البداية»، «الأصل»، أو «المبدأ الأول».

يشكل اختلافه الفلسفي عن ديمقريطس، الذي يجعل فقط لحظة واحدة موضوعية. هذا هو نفس الاختلاف الذي يفصل، في عالم الجوهر، في مملكة الذرات وفي الفراغ، إبيقور عن ديمقريطس. ومع ذلك، بما أن الذرة مع الصفات فقط هي الذرة الكاملة، وبما أن عالم الظاهرة يمكن أن ينبثق فقط من الذرة التي هي كاملة ومغتربة عن مفهومها، فإن إبيقور يعبر عن ذلك بالقول إن الذرة المؤهلة فقط تصبح عنصراً [stoicheion] أو فقط ذرة العنصر [atomon stoicheion] مجهزة بالصفات.

لوكريتيوس، 10، 109-1 5. قد يقنعك العقل بدلاً من الحدث نفسه بأن العالم بأكمله يمكن أن ينهار بصوت مدوٍ واحد! المصدر نفسه، 375-373,5. يتبع، إذن، أن بوابة الموت ليست مغلقة للسماء والشمس والأرض والبحر ذات الفيضانات الغير مسبورة. إنها تكمن مفتوحة بشكل هائل وتواجههم بهوة فاغرة.

استخدمه فلاسفة ما قبل سقراط، مثل طاليس وأنكسيمندرس، للدلالة على العنصر الأول الذي تنشأ منه جميع الأشياء. تطوّر لاحقًا ليعني أيضًا «السلطة» أو «السبب الأول» في الفلسفة واللاهوت. [م]

الفصل الرابع

الزمن

بما أن المادة في الذرة، كعلاقة خالصة مع نفسها، معفاة من كل نسبية وتغير، فإنه يتبع مباشرة أن الزمن يجب استبعاده من مفهوم الذرة، عالم الجوهر. لأن المادة أبدية ومستقلة فقط بقدر ما يتم فيها التجريد من لحظة الزمن. على هذا اتفق ديموقريطس وإبيقور. لكنهما يختلفان فيما يتعلق بالطريقة التي يتم بها الآن تحديد الزمن، الذي تمت إزالته من عالم الذرات، وإلى أين يتم نقله.

بالنسبة لديمقريطس، ليس للزمن أهمية ولا ضرورة للنظام. إنه يفسر الزمن من أجل نفيه «aufzuheben»[1]. يتم تحديده على أنه أبدي، حتى - كما يقول أرسطو[2] وسيمبليسيوس[3] - يتم إزالة الظهور والزوال، وبالتالي

---

(1) aufzuheben: مصطلح فلسفي ألماني يعني «يلغي ويحفظ ويتجاوز»، استخدمه ماركس لوصف العلاقة الجدلية بين المفاهيم. [م]

(2) أرسطو، الفيزياء، 8، 251. ...في الواقع، هذا هو بالتحديد ما يمكّن ديمقريطس من إظهار أن كل الأشياء لا يمكن أن يكون لها صيرورة؛ لأن الزمن، كما يقول، غير مخلوق. [المؤلف]

(3) سيمبليسيوس، المصدر المذكور، ص. 426. كان ديمقريطس مقتنعاً بقوة أن الزمن

الزمني، من الذرات. هناك شيء أكثر عمقاً ليتم التعرف عليه في هذه الفكرة. العقل المتخيل الذي لا يدرك استقلالية الجوهر يتساءل عن صيرورته في الزمن. إنه يفشل في فهم أنه بجعل الجوهر زمنية، فإنه يجعل الزمن جوهرياً أيضاً وبالتالي ينفي مفهومه، لأن الزمن الذي جُعل مطلقاً لم يعد زمنياً.

لكن هذا الحل غير مرضٍ من وجهة نظر أخرى. الزمن المستبعد من عالم الجوهر يتم نقله إلى الوعي الذاتي للذات الفلسفية ولكنه لا يتلامس مع العالم نفسه.

على النقيض تماماً من إبيقور. الزمن، المستبعد من عالم الجوهر، يصبح بالنسبة له الشكل المطلق للظاهرة. أي أن الزمن يتحدد كعرَض «accidens»[1] للعرَض. العرَض هو تغير الجوهر بشكل عام. عرَض العرَض هو التغير باعتباره ينعكس في نفسه، التغير باعتباره تغيراً. هذا الشكل الخالص من عالم الظاهرة هو الزمن[2].

التركيب هو مجرد الشكل السلبي للطبيعة الملموسة، الزمن شكلها الفعال.

أبدي، حتى أنه من أجل إظهار أن ليس كل الأشياء لها أصل، اعتبر أنه من الواضح أن الزمن ليس له أصل. [المؤلف]

(1) accidens: مصطلح لاتيني يعني «عرض» أو «خاصية غير أساسية»، استخدمه إبيقور لوصف الزمن كعرض للتغير. [م]

(2) لوكريتيوس، 463، 1,459-462. وبالمثل، الزمن في حد ذاته لا وجود له.... لا يجب الادعاء بأن أي شخص يمكن أن يشعر بالزمن في حد ذاته بمعزل عن حركة الأشياء أو سكونها. [المؤلف]

إذا نظرت إلى التركيب من حيث وجوده، فإن الذرة توجد خارجه، في الفراغ، في الخيال. إذا نظرت إلى الذرة من حيث مفهومها، فإن التركيب إما لا يوجد على الإطلاق أو يوجد فقط في الخيال الذاتي. لأن التركيب هو علاقة يكون فيها الذرات، مستقلة، منغلقة على نفسها، غير مهتمة ببعضها البعض، ليس لها أيضاً علاقة مع بعضها البعض. الزمن، على النقيض، هو تغير المتناهي بقدر ما يتم وضع التغيير كتغيير، وهو بالتالي الشكل الحقيقي الذي يفصل الظاهرة عن الجوهر، ويضعها كظاهرة، بينما يقودها مرة أخرى إلى الجوهر. يعبر التركيب فقط عن مادية الذرات وكذلك الطبيعة المنبثقة منها. الزمن، على النقيض، في عالم الظاهرة هو ما هو عليه مفهوم الذرة في عالم الجوهر، وهو تحديداً التجريد، وتدمير واختزال كل الوجود المحدد إلى الوجود-لأجل-ذاته.

يمكن استخلاص النتائج التالية من هذه الملاحظات. أولاً، يجعل إبيقور التناقض بين المادة والشكل سمة مميزة لطبيعة الظاهرة، والتي تصبح بالتالي صورة مضادة لطبيعة الجوهر، الذرة. يتم ذلك من خلال معارضة الزمن للمكان، والشكل الفعال للظاهرة إلى الشكل السلبي. ثانياً، كان إبيقور أول من أدرك الظاهرة كظاهرة، أي، كاغتراب للجوهر، ينشط نفسه في واقعه كمثل هذا الاغتراب.

من ناحية أخرى، بالنسبة لديمقريطس، الذي يعتبر التركيب الشكل الوحيد لطبيعة الظاهرة، لا تُظهر الظاهرة بنفسها أنها ظاهرة، شيء مختلف عن الجوهر. وهكذا عندما يتم النظر إلى الظاهرة من حيث وجودها، فإن الجوهر يصبح ممتزجاً

تماماً «konfundiert»[1] معها؛ عندما يتم النظر إليها من حيث مفهومها، فإن الجوهر منفصل تماماً عن الوجود، بحيث ينزل إلى مستوى المظهر الذاتي. يتصرف التركيب بلامبالاة ومادية تجاه أسسه الأساسية. الزمن، من ناحية أخرى، هو نار الجوهر، التي تستهلك الظاهرة إلى الأبد، وتطبعها بالتبعية واللاجوهرية.

أخيراً، بما أنه وفقاً لإبيقور الزمن هو التغير كتغير، انعكاس الظاهرة في نفسها، فإن طبيعة الظاهرة توضع بحق كموضوعية، ويُجعل الإحساس المعيار الحقيقي للطبيعة الملموسة، على الرغم من أن الذرة، أساسها، يُدرك فقط من خلال العقل.

في الواقع، بما أن الزمن هو الشكل المجرد للإحساس وفقاً لذرية الوعي الإبيقوري، فإن ضرورة حتمية أن يكون لها وجود منفصل كطبيعة داخل الطبيعة. قابلية التغير للعالم الحسي، تغيره كتغير، هذا الانعكاس للظاهرة في نفسها الذي يشكل مفهوم الزمن، له وجوده المنفصل في الحساسية الواعية. الحساسية البشرية هي بالتالي الزمن المتجسد، وجود انعكاس العالم الحسي في نفسه.

تماماً كما ينتج هذا مباشرة من تعريف مفهوم الزمن في إبيقور، فيمكن أيضاً إثباته بشكل محدد للغاية في التفاصيل. في الرسالة من إبيقور إلى هيرودوتس[2]،

(1) konfundiert: مصطلح ألماني يعني «مختلط» أو «ممتزج»، استخدمه ماركس لوصف العلاقة بين الجوهر والظاهرة عند ديمقريطس. [م]

(2) ديوجينيس لايرتيوس، 72، 10. هناك شيء آخر يجب أن نفكر فيه بعناية. يجب ألا نحقق في الزمن كما نفعل مع الأعراض الأخرى التي نحققها في موضوع، وبالتحديد، بالإشارة إليها إلى التصورات المسبقة المتصورة في أذهاننا؛ بل يجب

يتم تعريف الزمن بحيث ينشأ عندما يتم التفكير في أعراض الأجسام، التي يدركها الحس، كأعراض. الإدراك الحسي المنعكس في نفسه هو إذن هنا مصدر الزمن والزمن نفسه. ومن ثم لا يمكن تعريف الزمن بالقياس ولا يمكن قول أي شيء آخر عنه، ولكن من الضروري التمسك بقوة بالإنارجيا نفسها؛ لأن الإدراك الحسي المنعكس في نفسه هو الزمن نفسه، ولا يمكن تجاوزه.

من ناحية أخرى، في «لوكريتيوس» و«سكستوس إمبيريكوس» و«ستوبايوس»[1]، يتم تعريف عرض الأعراض، التغير المنعكس في نفسه، على أنه الزمن. إن انعكاس الأعراض في الإدراك الحسي وانعكاسها في أنفسها يُوضعان إذن على أنهما نفس الشيء.

أن نأخذ في الاعتبار الحقيقة البسيطة نفسها، بفضلها نتحدث عن الزمن كطويل أو قصير، رابطين به بصلة حميمة هذه الصفة المتعلقة بالمدة. لسنا بحاجة إلى اعتماد مصطلحات جديدة كمفضلة، بل يجب استخدام التعبير المعتاد عنه. ولا يلزم أن ننسب أي شيء آخر للزمن، كما لو كان هذا الشيء الآخر يحتوي على نفس الجوهر الموجود في المعنى المناسب لكلمة «زمن» (لأن هذا يتم أيضاً من قبل البعض). يجب أن نتأمل بشكل أساسي في ذلك الذي نربط به هذه الخاصية الفريدة للزمن، والذي نقيسه به. 73. لا حاجة إلى مزيد من الإثبات: علينا فقط أن نتأمل في أننا نربط صفة الزمن بالأيام والليالي وأجزائها، وكذلك بمشاعر المتعة والألم والحالات المحايدة، وحالات الحركة وحالات الراحة، متصورين عرضاً خاصاً لهذه هو هذه الخاصية نفسها التي نعبر عنها بكلمة «زمن». وهو [أي إبيقور] يقول هذا في كل من الكتاب الثاني عن الطبيعة وفي الملخص الأكبر. [المؤلف]

(1) لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء، المصدر المذكور. [المؤلف]

لذلك قد ترى أنه لا يمكن القول أن الأحداث موجودة بذاتها مثل المادة أو بنفس المعنى كالفضاء. بل ينبغي وصفها كأعراض للمادة، أو للمكان الذي تحدث فيه الأشياء».

«سكستوس إمبيريكوس، ضد الأساتذة، ص. 420. هنا يسمي إبيقور الزمن عرض الأعراض «symptoma symptomaton»[1].

«ستوبايوس، الاختيارات الفيزيائية، 1، 8. إبيقور [يسمي الزمن] عرضاً، أي شيئاً يصاحب الحركات.»

بسبب هذا الترابط بين الزمن والحساسية، فإن للصور «eidola»[2]، الموجودة أيضاً في ديمقريطس، وضع أكثر اتساقاً.

الصور هي أشكال الأجسام الطبيعية التي، كأسطح، تنفصل نوعاً ما مثل الجلود وتنقل هذه الأجسام إلى الظاهرة[3]. تتدفق هذه الأشكال باستمرار منها

(1) symptoma symptomaton: مصطلح يوناني يعني «عرض الأعراض»، وصف به إبيقور الزمن باعتباره تغير التغيرات. [م]

(2) eidola: «الصور» أو «الأشباح»، مصطلح استخدمه إبيقور لوصف الجزيئات الدقيقة التي تنبعث من الأجسام وتسبب الإدراك الحسي. [م]

(3) ديوجينيس لايرتيوس، 46، 10. مرة أخرى، هناك مخططات أو أفلام، وهي من نفس شكل الأجسام الصلبة، ولكن برقة تفوق بكثير أي شيء نراه.... نطلق على هذه الأفلام اسم «صور» أو «أصنام» 48. ... إنتاج الصور سريع مثل الفكر ... على الرغم من عدم ملاحظة أي تناقص في الأجسام، لأن جزيئات أخرى تحل محلها. وتلك التي تُطلق تحتفظ بالموضع والترتيب الذي كان لذراتها عندما شكلت جزءاً من الأجسام الصلبة....

وتخترق الحواس وبالتحديد بهذه الطريقة تسمح للأشياء بالظهور. وهكذا في السمع تسمع الطبيعة نفسها، وفي الشم تشم نفسها، وفي الرؤية ترى نفسها [1].

إن الحساسية البشرية هي بالتالي الوسيط الذي تنعكس فيه العمليات الطبيعية كما في بؤرة وتشتعل في ضوء الظاهرة.

في ديمقريطس، هذا تناقض، لأن الظاهرة ذاتية فقط؛ في إبيقور، إنها نتيجة ضرورية، لأن الحساسية هي انعكاس عالم الظاهرة في نفسه، زمنه المتجسد.

لوكريتيوس، 30,4-30... «صور» الأشياء، نوع من الجلد الخارجي المقشر باستمرار من سطح الأشياء ويطير هنا وهناك عبر الهواء. المصدر نفسه، 4، 51-52. ... لأن كل صورة عائمة معينة تحمل مظهر وشكل الشيء الذي انبثق من جسمه. [المؤلف]

(1) ديوجينيس لايرتيوس، 49، 10. يجب أن نفكر أيضاً في أنه من خلال دخول شيء قادم من أشياء خارجية نرى أشكالها ونفكر فيها. فالأشياء الخارجية لن تطبع علينا طبيعتها الخاصة ... بشكل جيد مثل دخول أفلام معينة قادمة من الأشياء نفسها إلى أعيننا أو عقولنا، لأي منهما يناسب حجمها، هذه الأفلام أو المخططات بنفس اللون والشكل مثل الأشياء الخارجية نفسها.... 50. وهذا يفسر مرة أخرى لماذا تقدم مظهر شيء واحد مستمر وتحتفظ بالترابط المتبادل الذي كان لديها مع الشيء.... 52. مرة أخرى، يحدث السمع عندما يمر تيار من الشيء، سواء كان شخصاً أو شيئاً، الذي يصدر صوتاً أو صوتاً أو ضجيجاً، أو ينتج إحساس السمع بأي طريقة كانت. يتم تقسيم هذا التيار إلى جزيئات متجانسة، والتي في نفس الوقت تحافظ على اتصال متبادل معين.... 53. ... مرة أخرى، يجب أن نعتقد أن الشم، مثل السمع، لن ينتج أي إحساس، لولا وجود جزيئات منقولة من الشيء وهي من النوع المناسب لإثارة عضو الشم. [المؤلف]

أخيراً، ينكشف الترابط بين الحساسية والزمن بطريقة تجعل الطابع الزمني للأشياء وظهورها للحواس يُوضعان كمترابطين جوهرياً. لأنه بالتحديد لأن الأجسام تظهر للحواس، فإنها تزول[1]. في الواقع، إن الصور، من خلال انفصالها باستمرار عن الأجسام وتدفقها إلى الحواس، من خلال امتلاكها لوجودها الحسي خارج نفسها كطبيعة أخرى، من خلال عدم عودتها إلى نفسها، أي من خلال الانقسام، تذوب وتزول.

لذلك: تماماً كما أن الذرة ليست سوى الشكل الطبيعي للوعي الذاتي المجرد الفردي، فإن الطبيعة الحسية ليست سوى الوعي الذاتي الفردي التجريبي الموضوعي، وهذا هو الحسي. ومن ثم فإن الحواس هي المعايير الوحيدة في الطبيعة الملموسة، تماماً كما أن العقل المجرد هو المعيار الوحيد في عالم الذرات.

---

(1) لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء، 2,1145-1146. من الطبيعي، إذن، أن يهلك كل شيء عندما يرق... [المؤلف]

الفصل الخامس

النيازك (الأجرام السماوية)

مهما كانت آراء ديمقريطس الفلكية مبتكرة لزمنه، فإنها لا تقدم أي اهتمام فلسفي. لا تتجاوز مجال التأمل التجريبي، وليس لها أي اتصال داخلي أكثر تحديداً بالمذهب الذري.

على النقيض من ذلك، فإن نظرية إبيقور عن الأجرام السماوية والعمليات المرتبطة بها، أو نظريته عن النيازك (في هذا المصطلح الواحد يشملها جميعاً)، تقف في معارضة ليس فقط مع ديمقريطس، بل مع رأي الفلسفة اليونانية ككل.

إن عبادة الأجرام السماوية طقس يمارسه جميع الفلاسفة اليونانيين. إن نظام الأجرام السماوية هو الوجود الأول الساذج والمحدد بالطبيعة للعقل الحقيقي «Vernunft»[1]. نفس الموقف يتخذه الوعي الذاتي اليوناني في مجال العقل «Geist»[2]. إنه النظام الشمسي للعقل. لذلك عبد الفلاسفة اليونانيون

(1) Vernunft: مصطلح ألماني يعني «العقل» بمعناه الشامل، استخدمه ماركس للإشارة إلى العقلانية المتجسدة في النظام السماوي. [م]

(2) Geist: مصطلح ألماني يعني «الروح» أو «العقل»، استخدمه ماركس للإشارة إلى

عقلهم الخاص في الأجرام السماوية.

«أناكساغوراس»[1] نفسه، الذي قدم أولًا تفسيراً فيزيائياً للسماء وبهذه الطريقة جلبها إلى الأرض بمعنى مختلف عن معنى سقراط، أجاب، عندما سُئل لأي غرض وُلد: لمراقبة الشمس والقمر والسماء[2]. لكن «كزينوفانيس»، نظر إلى السماء وقال: الواحد هو الله[3]. الموقف الديني للفيثاغوريين، أفلاطون وأرسطو تجاه الأجرام السماوية معروف جيداً.

بالفعل، يعارض إبيقور وجهة نظر الشعب اليوناني بأكمله.

يقول أرسطو إنه غالباً ما يبدو أن المفهوم يقدم دليلاً على الظواهر والظواهر للمفهوم. وهكذا جميع الناس لديهم فكرة عن الآلهة ويخصصون المنطقة العليا للإلهي، البرابرة والهيلينيون، وبشكل عام جميع الذين يؤمنون بوجود الآلهة، ويربطون بوضوح الخالد بالخالد، لأنه بخلاف ذلك مستحيل. وهكذا إذا كان الإلهي موجوداً - كما هو موجود بالفعل - فإن ما نقوله عن جوهر الأجرام السماوية هو صحيح أيضاً. ولكن هذا يتوافق أيضاً مع الإدراك الحسي، بقدر ما يتعلق الأمر بالاقتناع البشري. فطوال الوقت الذي مضى،

الوعي الذاتي الإنساني في مقابل الطبيعة. [م]

(1) أناكساغوراس (500-428 ق.م): فيلسوف يوناني قبل سقراطي، قدم تفسيراً طبيعياً للظواهر السماوية بدلاً من التفسير الإلهي. [م]

(2) ديوجينيس لايرتيوس، 11، 10، 3. [المؤلف]

(3) أرسطو، الميتافيزيقا، 5، 1 [986 ب، 25]. الواحد هو الله. [المؤلف]

وفقاً للذكريات المتوارثة من الناس إلى الناس، لا شيء يبدو أنه تغير، إما في السماء ككل، أو في أي جزء منها. حتى الاسم يبدو أنه تم تناقله من الأقدمين إلى الوقت الحاضر، وافترضوا ذلك الذي نقوله نحن أيضاً. لأنه ليس مرة واحدة، ليس مرتين، بل عدد لا نهائي من المرات وصلت نفس الآراء إلينا. لأنه بما أن الجسم الأولي شيء مختلف، بعيداً عن الأرض والنار والهواء والماء، فقد سموا المنطقة العليا «أثير»، من thein aei [1] «للجري دائمًا»،

مانحين إياها اللقب: الزمن الأبدي [2].

(1) thein aei: مصطلح يوناني يعني «الجري دائماً»، اشتق منه اليونانيون كلمة «الأثير» (المادة السماوية). [م]

(2) أرسطو، عن السماء، 1، 3 [4-24 ، 270b]. تبدو نظريتنا تؤكد التجربة وتؤكدها. لأن جميع الناس لديهم بعض التصور عن طبيعة الآلهة، وجميع الذين يؤمنون بوجود الآلهة على الإطلاق، سواء كانوا بربراً أو يونانيين، يتفقون على تخصيص المكان الأعلى للإلهية، بالتأكيد لأنهم يفترضون أن الخالد مرتبط بالخالد ويعتبرون أي افتراض آخر غير قابل للتصور. إذا كان هناك إذن، كما هو بالتأكيد، أي شيء إلهي، فما قلناه للتو عن المادة الجسدية الأولية كان حسناً. أقل الدليل البشري للحواس يكفي لإقناعنا بهذا. اليقين. لأنه في المدى الزمني الماضي بأكمله، بقدر ما تصل سجلاتنا الموروثة، لا يبدو أن أي تغيير قد حدث إما في المخطط الكامل للسماء الخارجية أو في أي من أجزائها المناسبة. حتى الاسم الشائع، الذي تم تناقله من أسلافنا البعيدين حتى يومنا هذا، يبدو أنه يظهر أنهم تصوروه بالطريقة التي كنا نعبر عنها. يجب اعتقاد أن نفس الأفكار تتكرر في عقول الناس ليس مرة أو مرتين بل مراراً وتكراراً. ومن ثم، مما يعني أن الجسم الأولي هو شيء آخر بعيد عن الأرض والنار والهواء والماء،

لكن الأقدمين خصصوا السماء والمنطقة العليا للآلهة، لأنها وحدها خالدة. أما التعاليم الحالية فتشهد على أنها غير قابلة للتدمير، غير مولودة وغير خاضعة لأي علل فانية. بهذه الطريقة، تتوافق مفاهيمنا في نفس الوقت مع إلماحات عن الله[1]. لكن وجود سماء واحدة واضح. إنه تقليد تم نقله من أسلافنا وأقدم الناس ومستمر في شكل أساطير الأجيال اللاحقة، أن الأجرام السماوية آلهة وأن الإلهي يشمل كل الطبيعة. تمت إضافة الباقي في شكل أسطوري لإيمان الجماهير، كمفيد للقوانين وللحياة. وهكذا تجعل الأساطير الآلهة تشبه الإنسان وبعض المخلوقات الحية الأخرى، وتخترع أشياء مماثلة مرتبطة ومتعلقة بهذا. إذا تجاهلنا الإضافات وتمسكنا فقط بالأول، أي بالاعتقاد بأن الجواهر الأولية هي آلهة، فعلينا أن نعتبر هذا قد تم الكشف عنه إلهياً، وعلينا أن نعتقد أنه بعد اختراع جميع أنواع الفن والفلسفة وفقدانها مرة أخرى، بطريقة أو بأخرى، وصلت هذه الآراء إلينا مثل البقايا[2].

أعطوا للمكان الأعلى اسماً خاصاً به، أيثر، مشتقاً من حقيقة أنه «يجري دائماً» لأبدية الزمن. [المؤلف]

(1) المصدر نفسه، 2، 1 [284a، 11-15، 284، 2-5]. قدم الأقدمين للآلهة السماء أو المكان العلوي كونه وحده خالداً؛ وحجتنا الحالية تشهد على أنه غير قابل للتدمير وغير مولود. علاوة على ذلك، فهو غير متأثر بأي انزعاج فاني... ليس فقط من المناسب أكثر أن نتصور أبديته على هذا النحو، ولكن أيضاً على هذه الفرضية وحدها نحن قادرون على تقديم نظرية متسقة مع العرافات الشعبية للطبيعة الإلهية. [المؤلف]

(2) أرسطو، الميتافيزيقا، 11 (12)، 8 [1074، 31، 3، 1074-38]. من الواضح أنه لا

إبيقور، على العكس، يقول: يجب أن نضيف إلى كل هذا أن أعظم ارتباك للروح البشرية ينشأ من حقيقة أن الناس يعتقدون أن الأجرام السماوية مباركة وغير قابلة للتدمير ولديها رغبات وأفعال متضاربة، ويتصورون شكاً وفقاً للأساطير[1].

(6) أما بالنسبة للنيازك، فيجب أن نعتقد أن الحركة والموضع والكسوف والشروق والغروب والظواهر ذات الصلة لا تنشأ فيها بسبب واحد يحكم ويأمر أو قد أمر، واحد يُفترض في نفس الوقت أن يمتلك كل النعيم والخلود.

لأن الأفعال لا تتوافق مع النعيم، بل تحدث بسبب أسباب متعلقة عن

توجد سوى سماء واحدة.... لقد نقل أسلافنا في العصور الأكثر بعداً إلى ذريتهم تقليداً، في شكل أسطورة، أن هذه الأجسام هي آلهة وأن الإلهي يحتوي على الطبيعة بأكملها. تمت إضافة بقية التقاليد لاحقاً في شكل أسطوري بهدف إقناع الجمهور ولملاءمتها القانونية والنفعية؛ يقولون إن هذه الآلهة على شكل بشر أو مثل بعض الحيوانات الأخرى، ويقولون أشياء أخرى تبعية ومشابهة لتلك التي ذكرناها. ولكن إذا كان المرء سيفصل النقطة الأولى من هذه الإضافات ويأخذها وحدها أنهم اعتقدوا أن الجواهر الأولى هي آلهة، فيجب أن يعتبر هذا كلاماً موحى به؛ ويفكر في أنه، بينما من المحتمل أن كل فن وكل علم قد تم تطويره في كثير من الأحيان إلى أقصى حد ممكن وقد هلك مرة أخرى، فإن هذه الآراء، مع غيرها، قد تم الحفاظ عليها حتى الوقت الحاضر مثل بقايا الكنز القديم. [المؤلف]

(1) ديوجينيس لايرتيوس، 81، 10. هناك نقطة أخرى يجب أن نستوعبها، وهي أن أعظم قلق للعقل البشري ينشأ من الاعتقاد بأن الأجرام السماوية مباركة وغير قابلة للتدمير، وأن لديها في نفس الوقت إرادات وأفعال... غير متسقة مع هذا الاعتقاد... خوفاً من بعض الشر بسبب الأساطير. [المؤلف]

كثب بالضعف والخوف والحاجة. ولا ينبغي أن نفترض أن بعض الأجسام الشبيهة بالنار المزودة بنعيم تخضع تعسفاً لهذه الحركات. إذا لم يوافق المرء على هذا، فإن هذا التناقض نفسه ينتج أعظم ارتباك في نفوس الناس[1].

وبخ أرسطو القدماء لاعتقادهم أن السماء تتطلب «دعم أطلس»[2] الذي: «في أماكن الغرب يقف، يدعم بكتفيه عمود السماء والأرض (إسخيلوس، بروميث.، 348 وما بعدها). إبيقور، من ناحية أخرى، يلوم أولئك الذين يعتقدون أن الإنسان يحتاج إلى السماء. إنه يجد أطلس الذي تُدعم به السماء في غباء الإنسان وخرافته. الغباء والخرافة هما أيضاً من التيتان (الجبابرة).

تتعامل رسالة إبيقور إلى بيثوكليس بالكامل مع نظرية الأجرام السماوية، باستثناء القسم الأخير، الذي يختتم الرسالة بوصايا أخلاقية. وبشكل مناسب،

(1) المصدر نفسه، 76، 10.. بل أكثر من ذلك، نحن ملزمون بالاعتقاد بأن الدوران في السماء، والانقلابات، والكسوف، والشروق والغروب، وما شابه ذلك، يحدث دون خدمة أو أمر، إما الآن أو في المستقبل، من أي كائن يتمتع في نفس الوقت بنعيم تام مع الخلود. 77. لأن المتاعب والقلق... لا تتفق مع النعيم، بل تنطوي دائماً على ضعف وخوف واعتماد على جيران المرء. ولا نعتقد، مرة أخرى، أن الأشياء التي ليست أكثر من كتل كروية من النار، والمزودة في نفس الوقت بالنعيم، تفترض هذه الحركات بإرادتها.... وإلا فإن مثل هذا التناقض سيكفي بحد ذاته لإنتاج أسوأ اضطراب في عقولنا. [المؤلف]

(2) أرسطو، عن السماء، 2، 1 [284 '201-18]. ومن هنا لا يجب أن نصدق الحكاية القديمة التي تقول إن العالم يحتاج إلى بعض أطلس للحفاظ عليه آمناً. [المؤلف]

تُلحق الوصايا الأخلاقية بتعاليم النيازك. إن هذه النظرية بالنسبة لإبيقور هي مسألة ضمير. ستعتمد دراستنا لذلك بشكل أساسي على هذه الرسالة إلى بيثوكليس. سنستكملها من الرسالة إلى هيرودوتس، التي يشير إليها إبيقور نفسه في كتابته إلى بيثوكليس[1].

أولاً، لا يجب أن نفترض أنه يمكن تحقيق أي هدف آخر سوى الأتاراكسيا (الهدوء النفسي) والتأكيد الراسخ من معرفة النيازك، سواء أخذت ككل أو جزئياً، تماماً كما هو الحال مع العلوم الطبيعية الأخرى[2].

حياتنا لا تحتاج إلى تأمل وفرضيات فارغة، بل إلى أن نعيش بدون ارتباك. تماماً كما أن مهمة دراسة الطبيعة بشكل عام هي التحقيق في أسس ما هو أكثر أهمية: فكذلك السعادة تكمن أيضاً في معرفة النيازك. في حد ذاتها، نظرية الغروب والشروق، والموضع والكسوف، لا تحتوي على أسباب خاصة للسعادة؛ فقط الرعب يمتلك أولئك الذين يرون هذه الأشياء دون فهم

(1) ديوجينيس لايرتيوس، 85، 10. لذا ستفعل حسناً في أخذها وتعلمها والحصول عليها بسرعة مع الملخص الموجز في رسالتي إلى هيرودوتس. [المؤلف]

(2) المصدر نفسه، 85، 10. في المقام الأول، تذكر أنه، مثل أي شيء آخر، فإن معرفة الظواهر السماوية، سواء أخذت مع أشياء أخرى أو بمعزل، وكذلك العلوم الأخرى، ليس لها غاية أخرى سوى راحة البال والقناعة الراسخة. المصدر نفسه، 82، 10. لكن الهدوء العقلي يعني التحرر من كل هذه المتاعب وتغذية ذكرى مستمرة للحقائق العليا والأكثر أهمية. [المؤلف]

طبيعتها وأسبابها الرئيسية [1]. حتى الآن، تم إنكار الأولوية التي من المفترض أن تتمتع بها نظرية النيازك على العلوم الأخرى فقط؛ وتم وضع هذه النظرية على نفس مستوى الأخرى.

لكن نظرية النيازك مختلفة أيضاً بشكل محدد بالمقارنة مع كل من منهج الأخلاق ومشكلات فيزيائية أخرى، على سبيل المثال، وجود عناصر غير قابلة للتجزئة وما شابه، حيث يتوافق تفسير واحد فقط مع الظواهر. لأن هذا ليس هو الحال مع النيازك [2]. أصلها ليس له سبب بسيط، ولديها أكثر من فئة

(1) المصدر نفسه، 87، 10. لأن حياتنا ليست بحاجة الآن إلى أيديولوجيات وآراء زائفة؛ حاجتنا الوحيدة هي الوجود بدون اضطراب. [المؤلف]

المصدر نفسه، 78، 10. علاوة على ذلك، يجب أن نعتقد أن الوصول إلى المعرفة الدقيقة لسبب الأشياء ذات الأهمية القصوى هو عمل العلوم الطبيعية، وأن السعادة تعتمد على هذا (أي على معرفة الظواهر السماوية). [المؤلف]

المصدر نفسه، 76، 10. لا يوجد شيء في معرفة الشروق والغروب والانقلابات والكسوف وجميع المواضيع ذات الصلة يساهم في سعادتنا؛ لكن أولئك الذين هم على دراية جيدة بهذه الأمور ومع ذلك يجهلون ما هي الأجرام السماوية حقاً، وما هي الأسباب الأكثر أهمية للظواهر، يشعرون بالخوف بقدر ما يشعر أولئك الذين ليس لديهم مثل هذه المعلومات الخاصة - بل ربما خوف أكبر. [المؤلف]

(2) المصدر نفسه، 86، 10. نحن لا نسعى إلى انتزاع ما هو مستحيل بالقوة، ولا إلى فهم جميع الأمور بنفس القدر من الجودة، ولا نجعل معالجتنا دائماً بنفس الوضوح كما عندما نناقش الحياة البشرية أو نشرح مبادئ الأخلاق بشكل عام... على سبيل المثال، أن الوجود بأكمله يتكون من أجسام وطبيعة غير ملموسة، أو أن العناصر

واحدة من الجوهر تتوافق مع الظواهر. لأن دراسة الطبيعة لا يمكن متابعتها وفقاً للبديهيات والقوانين الفارغة[1]. يتكرر باستمرار أن النيازك لا ينبغي تفسيرها هابلوس (ببساطة، بشكل مطلق)، بل بويلاكوس (بطرق عديدة).

هذا ينطبق أيضاً على شروق وغروب الشمس والقمر[2]، زيادة ونقصان القمر،[3] ظهور وجه على القمر[4]، تغيرات مدة النهار والليل[5]، وغيرها من الظواهر السماوية.

كيف إذن ينبغي تفسير ذلك؟

كل تفسير كافٍ. يجب فقط إزالة الأسطورة. ستتم إزالتها عندما نلاحظ الظواهر ونستخلص منها استنتاجات بخصوص الخفي[6]. يجب أن نتمسك

النهائية للأشياء غير قابلة للتجزئة، أو أي اقتراح آخر يسمح فقط بتفسير واحد للظواهر ليكون ممكناً. لكن هذا ليس هو الحال مع الظواهر السماوية. [المؤلف]

(1) المصدر نفسه، 86، 10. هذه على أي حال تقبل أسباباً متعددة لحدوثها وحسابات متعددة، لا يتناقض أي منها مع الإحساس، عن طبيعتها. لأنه في دراسة الطبيعة [فيزيولوجيا] يجب ألا نتوافق مع افتراضات فارغة وقوانين تعسفية، بل نتبع إلهامات الحقائق. [المؤلف]

(2) المصدر نفسه، 92، 10. [المؤلف]

(3) المصدر نفسه، 94، 10. [المؤلف]

(4) المصدر نفسه، 95، 10 و 96. [المؤلف]

(5) المصدر نفسه، 98، 10. [المؤلف]

(6) المصدر نفسه، 104، 10. و[يقول إبيقور] هناك عدة طرق أخرى يمكن أن تنتج بها

بالمظهر، بالإحساس. ومن ثم يجب تطبيق القياس. بهذه الطريقة يمكننا تفسير الخوف وتحرير أنفسنا منه، من خلال إظهار أسباب النيازك والأشياء الأخرى التي تحدث دائماً وتسبب أقصى قدر من الإنذار للآخرين [1].

إن العدد الكبير من التفسيرات، وكثرة الاحتمالات، لا ينبغي أن تهدئ عقولنا فقط وتزيل أسباب الخوف، بل أيضاً في نفس الوقت أن تنفي في الأجرام السماوية وحدتها نفسها، القانون المطلق الذي يساوي نفسه دائماً. قد تتصرف هذه الأجرام السماوية في بعض الأحيان بطريقة ما، وأحياناً بطريقة أخرى؛ هذه الإمكانية التي لا تتوافق مع أي قانون هي السمة المميزة لواقعها؛ كل

الصواعق. استبعاد الأسطورة هو الشرط الوحيد الضروري؛ وسيتم استبعادها، إذا انتبه المرء بشكل صحيح إلى الحقائق ومن ثم يستخلص استنتاجات لتفسير ما هو غامض. [المؤلف]

(1) المصدر نفسه، 80، 10. لذلك، عندما نحقق في أسباب الظواهر السماوية، كما في كل ما هو مجهول، يجب أن نأخذ في الاعتبار تنوع الطرق التي تحدث بها أحداث مماثلة ضمن تجربتنا. المصدر نفسه، 82، 10. لكن الهدوء العقلي يعني التحرر من كل هذه المتاعب.... لذلك يجب أن ننتبه إلى المشاعر والإدراكات الحسية الحالية، سواء تلك الخاصة بالبشرية بشكل عام أو تلك الخاصة بالفرد، وأيضاً الانتباه إلى كل الأدلة الواضحة المتاحة، كما هو معطى من قبل كل من معايير الحقيقة. لأنه من خلال دراستهم سنتتبع بشكل صحيح إلى السبب ونطرد مصدر الاضطراب والخوف، مفسرين الظواهر السماوية وجميع الأشياء الأخرى التي تحدث من وقت لآخر وتسبب أقصى إنذار لبقية البشرية. [المؤلف]

شيء فيها يُعلَن أنه غير دائم وغير مستقر [1]. ينبغي أن تزيل تعددية التفسيرات في نفس الوقت وحدة الكائن.

وهكذا بينما يعتبر أرسطو، متفقاً مع الفلاسفة اليونانيين الآخرين، الأجرام السماوية أبدية وخالدة، لأنها تتصرف دائماً بنفس الطريقة؛ وبينما ينسب إليها حتى عنصراً خاصاً بها، أعلى وغير خاضع لقوة الجاذبية؛ يدعي إبيقور على النقيض من ذلك العكس المباشر. إنه يعتقد أن نظرية النيازك تتميز بشكل محدد عن جميع المذاهب الفيزيائية الأخرى في هذا الصدد، أنه في النيازك يحدث كل شيء بطريقة متعددة وغير منظمة، وأن كل شيء فيها يجب أن يُفسر بتعددية أسباب غير محددة لانهائية. نعم، في غضب وعنف عاطفي يرفض الرأي المعاكس، ويعلن أن أولئك الذين يتمسكون بطريقة تفسير واحدة فقط مع استبعاد كل الطرق الأخرى، أولئك الذين يقبلون شيئاً فريداً، وبالتالي أبدي وإلهي في النيازك، يقعون ضحية لتفسيرات فارغة - وللحيل العبودية للمنجمين؛ إنهم يتجاوزون حدود دراسة الطبيعة ويلقون بأنفسهم في أحضان الأسطورة؛ يحاولون تحقيق المستحيل، ويجهدون أنفسهم على السخافات؛ إنهم

(1) المصدر نفسه، 87، 10. بعض الظواهر ضمن تجربتنا تقدم دليلاً يمكننا به تفسير ما يحدث في السماء. نرى كيف تحدث الأولى في الواقع، لكن ليس كيف تحدث الظواهر السماوية، لأن حدوثها قد يكون بسبب مجموعة متنوعة من الأسباب. [88.1 ومع ذلك، يجب أن نلاحظ كل حقيقة كما هي معروضة، وكذلك نفصلها عن جميع الحقائق المعروضة معها، والتي لا يتناقض حدوثها من أسباب مختلفة مع الحقائق ضمن تجربتنا. [المؤلف]

لا يدركون حتى أين تصبح الأتاراكسيا نفسها معرضة للخطر. ثرثرتهم ينبغي ازدراؤها[1]. يجب تجنب الحكم المسبق بأن التحقيق في هذه المواضيع لا يمكن أن يكون دقيقاً ودقيقاً بشكل كافٍ إذا كان يهدف فقط إلى أتاراكسيتنا ونعيمنا[2]. على العكس، إنه قانون مطلق أن لا شيء يمكن أن يعكر الأتاراكسيا، وأن

(1) المصدر نفسه، 78، 10. علاوة على ذلك، يجب أن نعترف في نقاط مثل هذه بتعددية الأسباب أو الاحتمالية.... المصدر نفسه، 86، 10. هذه [الظواهر السماوية] على أي حال تقبل أسباباً متعددة لحدوثها.... المصدر نفسه، 87، 10. تستمر جميع الأشياء دون انقطاع، إذا تم تفسير كل ذلك بطريقة تعددية الأسباب... بمجرد أن نفهم بشكل صحيح ما يمكن الادعاء به بشكل معقول بشأنها.... [المؤلف]

(2) المصدر نفسه، 98، 10. بينما أولئك الذين يتبنون تفسيراً واحداً فقط يتعارضون مع الحقائق ويخطئون تماماً فيما يتعلق بالطريقة التي يمكن للإنسان من خلالها اكتساب المعرفة. المصدر نفسه، 5، 113. إن تعيين سبب واحد لهذه التأثيرات عندما تشير الحقائق إلى عدة أسباب هو جنون وتناقض غريب؛ ومع ذلك يتم ذلك من قبل أتباع علم التنجيم المتهور، الذين يعينون أسباباً بلا معنى للنجوم كلما أصروا على تحميل الألوهية بمهام مرهقة. المصدر نفسه، 97، 10. وعلاوة على ذلك، دعوا يشرح انتظام مداراتهم بنفس الطريقة مثل بعض الحوادث العادية ضمن تجربتنا الخاصة؛ يجب ألا تُستدعى الطبيعة الإلهية بأي حال من الأحوال لتفسير هذا، بل يجب أن تُبقى حرة من المهمة وفي نعيم تام. ما لم يتم ذلك، فإن دراسة الظواهر السماوية بأكملها ستكون عبثاً، كما ثبت بالفعل مع بعض الذين لم يتمسكوا بطريقة ممكنة، بل سقطوا في حماقة افتراض أن هذه الأحداث تحدث بطريقة واحدة فقط ورفض كل الطرق الأخرى الممكنة، مما يعرضهم للوقوع في مجال غير قابل للفهم، وعدم القدرة على اتخاذ نظرة شاملة للحقائق التي يجب أخذها كدلائل للباقي. المصدر نفسه، 10، 93.

يسبب الخطر، يمكن أن ينتمي إلى طبيعة غير قابلة للتدمير.وخالدة. يجب أن يفهم الوعي أن هذا قانون مطلق [1].

ومن ثم يستنتج إبيقور: بما أن أبدية الأجرام السماوية ستعكر أتاراكسيا الوعي الذاتي، فمن النتيجة الضرورية والحتمية أنها ليست أبدية.

ولكن كيف يمكننا فهم هذا الرأي الغريب لإبيقور؟

جميع المؤلفين الذين كتبوا عن الفلسفة الإبيقورية قدموا هذا التعليم على أنه غير متوافق مع كل باقي الفيزياء، مع المذهب الذري. يُؤخذ النضال ضد الرواقيين، ضد الخرافة، ضد التنجيم كأسباب كافية.

وقد رأينا أن إبيقور نفسه يميز المنهج المطبق في نظرية النيازك عن منهج باقي الفيزياء. ولكن في أي تعريف من مبدئه يمكن أن توجد ضرورة هذا

...غير متأثر بالحيل العبودية للمنجمين. المصدر نفسه، 87، 10. ...نبتعد بوضوح عن دراسة الطبيعة تماماً ونسقط في الأسطورة. المصدر نفسه، 80، 10. لذلك يجب علينا... التحقيق في أسباب الظواهر السماوية، كما في كل ما هو غير معروف، [...] بينما بالنسبة لأولئك الذين لا يعترفون بالفرق بين ما هو أو يأتي من سبب واحد وما قد يكون تأثير أي واحد من عدة أسباب، متجاهلين حقيقة أن الأشياء تُرى فقط من مسافة، وعلاوة على ذلك، يجهلون الظروف التي تجعل، أو لا تجعل، السلام العقلي مستحيلاً - كل هؤلاء الأشخاص يجب أن نعاملهم باحتقار. [المؤلف]

(1) المصدر نفسه، 78، 10. ... لكن يجب أن نعتقد أن لا شيء يوحي بالصراع أو عدم الهدوء متوافق مع طبيعة خالدة ومباركة. ويمكن للعقل أن يدرك الحقيقة المطلقة لهذا. [المؤلف]

التمييز؟ كيف تخطر له الفكرة؟

وهو لا يحارب فقط التنجيم، بل أيضاً علم الفلك نفسه، والقانون الأبدي والعقلانية في النظام السماوي. أخيراً، المعارضة للرواقيين لا تفسر شيئاً. تم دحض خرافتهم ووجهة نظرهم بأكملها بالفعل عندما تم الإعلان عن الأجرام السماوية كمجمعات عرضية للذرات وعملياتها حركات عرضية للذرات. وبالتالي تم تدمير طبيعتها الأبدية، وهي نتيجة كان ديمقريطس راضياً عن استخلاصها من هذه المقدمات[1]. في الواقع، تم التخلص من وجودها نفسه «aufgehoben»[2]. لذلك لم يكن الذري بحاجة إلى طريقة جديدة. لكن هذه ليست الصعوبة الكاملة بعد. تظهر مفارقة أكثر محيرة [3].

الذرة هي المادة في شكل الاستقلال، الفردية، وهي لنقل ممثل الوزن. لكن الأجرام السماوية هي التحقيق الأعلى للوزن. فيها كل المفارقات بين الشكل والمادة، بين المفهوم والوجود، التي شكلت تطور الذرة، يتم حلها؛ فيها يتم تحقيق جميع التحديدات المطلوبة. الأجرام السماوية أبدية وغير

(1) قارن مع أرسطو، عن السماء، 1، 10. [المؤلف]

(2) المصدر نفسه، 1، 10 [279ب، 261-25. افترض أن العالم تكون من عناصر كانت في السابق في حالة مختلفة عما هي عليه الآن. ثم... إذا كانت حالتها هكذا دائماً ولا يمكن أن تكون خلاف ذلك، فلا يمكن أبداً أن يأتي العالم إلى الوجود. [المؤلف]

(3) المصدر نفسه، 1، 10 [279ب، 261-25. افترض أن العالم تكون من عناصر كانت في السابق في حالة مختلفة عما هي عليه الآن. ثم... إذا كانت حالتها هكذا دائماً ولا يمكن أن تكون خلاف ذلك، فلا يمكن أبداً أن يأتي العالم إلى الوجود. [المؤلف]

متغيرة؛ لديها مركز جاذبيتها في، وليس خارج، أنفسها. فعلها الوحيد هو الحركة، ومفصولة بفضاء فارغ، تنحرف عن الخط المستقيم، وتشكل نظاماً من التنافر والجذب مع الحفاظ في نفس الوقت على استقلاليتها الخاصة وأيضاً، أخيراً، توليد الزمن من نفسها كشكل لظهورها. الأجرام السماوية هي إذن الذرات التي أصبحت واقعاً. فيها استقبلت المادة في نفسها الفردية. هنا يجب أن يكون إبيقور قد لمح الوجود الأعلى لمبدئه، ذروة ومنتهى نظامه. ادعى أنه افترض الذرة حتى تُزود الطبيعة بأسس خالدة. زعم أنه كان معنياً بالفردية الجوهرية للمادة. لكن عندما يصادف واقع طبيعته (وهو لا يعرف «طبيعة» أخرى سوى الميكانيكية)، عندما يصادف المادة المستقلة غير القابلة للتدمير في الأجرام السماوية التي تم إثبات أبديتها وثباتها من خلال اعتقاد الناس، وحكم الفلسفة، وأدلة الحواس: فإن رغبته الوحيدة هي سحبها إلى الزوال الأرضي. إنه يتحول بعنف ضد أولئك الذين يعبدون طبيعة مستقلة تحتوي في ذاتها صفة الفردية. هذا هو تناقضه الأكثر صراحة.

ومن ثم يشعر إبيقور أن فئاته السابقة تنهار هنا، وأن منهج نظريته يصبح مختلفاً. والمعرفة الأعمق التي حققها نظامه، واتساقه الأكثر شمولاً، هو أنه يدرك هذا ويعبر عنه بوعي.

في الواقع، لقد رأينا كيف أن الفلسفة الإبيقورية للطبيعة بأكملها تتخللها التناقض بين الجوهر والوجود، بين الشكل والمادة. لكن هذا التناقض يتم حله في الأجرام السماوية، واللحظات المتعارضة تتصالح. في النظام السماوي، قبلت المادة الشكل في نفسها، وأخذت الفردية في نفسها وبالتالي حققت

استقلاليتها. لكن في هذه النقطة تتوقف عن أن تكون تأكيداً للوعي الذاتي المجرد. في عالم الذرات، كما في عالم الظواهر، صارع الشكل ضد المادة؛ تجاوز أحد التحديدات الآخر وبالتحديد في هذا التناقض شعر الوعي الذاتي المجرد بأن طبيعته موضوعية. الشكل المجرد، الذي، في شكل المادة، حارب ضد المادة المجردة، كان هذا الوعي الذاتي نفسه. لكن الآن، عندما تصالحت المادة مع الشكل وأصبحت مكتفية ذاتياً، يخرج الوعي الذاتي الفردي من شرنقته، ويعلن نفسه المبدأ الحقيقي ويعارض الطبيعة، التي أصبحت مستقلة. يمكن التعبير عن كل هذا أيضاً من وجهة نظر أخرى بالطريقة التالية: المادة، التي تلقت في نفسها الفردية، الشكل، كما هو الحال مع الأجرام السماوية، توقفت عن أن تكون فردية مجردة؛ لقد أصبحت فردية ملموسة، عمومية. في النيازك، بالتالي، يواجه الوعي الذاتي المجرد الفردي تناقضه، مشرقاً في شكله المادي، العمومي الذي أصبح وجوداً وطبيعة. ومن ثم فإنه يعترف في النيازك عدوه المميت، ويعزو إليها، كما يفعل إبيقور، كل قلق وارتباك الناس. في الواقع، إن قلق وانحلال المجرد-الفردي هو بالتحديد العمومي. هنا بالتالي يظهر مبدأ إبيقور الحقيقي، الوعي الذاتي المجرد-الفردي، الذي لا يمكن إخفاؤه بعد الآن. إنه يخرج من مخبئه، وبعد أن تحرر من التنكر المادي، يسعى إلى تدمير واقع الطبيعة التي أصبحت مستقلة من خلال تفسير يتماشى مع الإمكانية المجردة: ما هو ممكن قد يكون أيضاً غير ذلك، عكس ما هو ممكن هو ممكن أيضاً.

ومن هنا الجدل ضد أولئك الذين يفسرون الأجرام السماوية هابلوس

[ببساطة، بشكل مطلق] أي، بطريقة معينة واحدة، لأن الواحد هو الضروري وذلك الذي هو مستقل-في-ذاته.

وهكذا طالما أن الطبيعة كذرة ومظهر تعبر عن الوعي الذاتي الفردي وتناقضه، تظهر ذاتية الوعي الذاتي فقط في شكل المادة نفسها. حيث، من ناحية أخرى، تصبح مستقلة، تنعكس في نفسها، تواجه المادة في شكلها الخاص كشكل مستقل.

كان يمكن أن يقال منذ البداية أنه حيث يصبح مبدأ إبيقور واقعاً، سيتوقف عن أن يكون له واقع بالنسبة له. لأنه إذا تم وضع الوعي الذاتي الفردي في الواقع تحت تحديد الطبيعة، أو الطبيعة تحت تحديد الوعي الفردي، فإن «تحديده، أي وجوده، يكون قد توقف، لأن العمومي فقط في تمييز حر عن نفسه يمكن أن يعرف في الوقت نفسه تأكيده الخاص.

في نظرية النيازك بالتالي تظهر روح الفلسفة الإبيقورية للطبيعة. لا شيء أبدي يدمر أتاراكسيا الوعي الذاتي الفردي. الأجرام السماوية تُقلق أتاراكسيته، توازنه مع نفسه، لأنها العمومية الموجودة، لأن فيها أصبحت الطبيعة مستقلة.

وهكذا فإن مبدأ الفلسفة الإبيقورية ليس علم المعدة «لأرخستراتوس»[1]

---

(1) أرخستراتوس: اسم يوناني بمعنى «قائد الجيش»، أشهر حامليه الشاعر أرخستراتوس الجيلي (القرن 4 ق.م) صاحب قصيدة «Hedypatheia» (الحياة الممتعة) عن فن الطبخ. [م]

كما يعتقد خريسيبوس[1] بل مطلقية وحرية الوعي الذاتي – حتى لو كان الوعي الذاتي متصوراً فقط في شكل الفردية.

إذا تم وضع الوعي الذاتي المجرد الفردي كمبدأ مطلق، فإن كل العلم الحقيقي والواقعي ينتهي «aufgehoben» بقدر ما لا تحكم الفردية في طبيعة الأشياء نفسها. لكن، أيضاً، ينهار كل ما هو متجاوز مرتبط بالوعي البشري وبالتالي ينتمي إلى العقل المتخيل. من ناحية أخرى، إذا تم رفع ذلك الوعي الذاتي الذي يعرف نفسه فقط في شكل العمومية المجردة إلى مبدأ مطلق، يُفتَح الباب على مصراعيه للتصوف الخرافي وغير الحر. توفر الفلسفة الرواقية الدليل التاريخي على هذا. إن الوعي الذاتي المجرد العام لديه، في الواقع، الرغبة الداخلية لتأكيد نفسه في الأشياء نفسها التي يمكن أن يؤكد نفسه فيها فقط من خلال نفيها.

إبيقور هو لذلك أعظم ممثل للتنوير اليوناني، وهو يستحق مديح لوكريتيوس[2]:

عندما كانت الحياة البشرية مستلقية في مرأى الجميع، منسحقة إلى الأرض تحت الوزن الميت للدين الذي كانت ملامحه القاتمة تعبس بشكل

---

(1) أثينايوس، مأدبة المتعلمين، 104، 3. ... يجب على المرء... أن يوافق بسبب وجيه على خريسيبوس النبيل لفهمه الذكي «الطبيعة» إبيقور، وملاحظته أن مركز الفلسفة الإبيقورية هو علم المعدة لأرخستراتوس.... [المؤلف]

(2) لوكريتيوس، عن طبيعة الأشياء، 1، 63–70، 79–80. [المؤلف]

مهدد على البشر من نواحي السماء الأربعة، كان رجل اليونان هو أول من يرفع العيون الفانية في تحدٍ، أول من يقف منتصباً ويتحدى التحدي بشجاعة. لم تسحقه خرافات الآلهة، ولا ومضة البرق وتهديد السماء المزمجر.... لذلك فإن الدين بدوره ينسحق تحت قدميه، ونحن من خلال انتصاره نرتفع إلى مستوى السماء.

تم إثبات الاختلاف بين الفلسفة الديمقريطية والإبيقورية للطبيعة الذي أثبتناه في نهاية القسم العام وتأكيده في جميع مجالات الطبيعة. في إبيقور، بالتالي، تم تنفيذ الذرية بجميع تناقضاتها وإكمالها كعلم طبيعي للوعي الذاتي. هذا الوعي الذاتي في شكل الفردية المجردة هو مبدأ مطلق. لقد حمل إبيقور هكذا الذرية إلى استنتاجها النهائي، وهو حلها ومعارضتها الواعية للعمومي. بالنسبة لديمقريطس، من ناحية أخرى، فإن الذرة هي فقط التعبير الموضوعي العام للتحقيق التجريبي للطبيعة ككل. لذلك تظل الذرة بالنسبة له فئة مجردة، فرضية، نتيجة للتجربة، وليس مبدأها الفعال «energisches»[1]. هذه الفرضية تبقى بالتالي بدون تحقق، تماماً كما أنها لا تلعب أي دور آخر في تحديد التحقيق الحقيقي للطبيعة.

---

(1) energisches: كلمة ألمانية تعني «نشط» أو «فعال»، استخدمها ماركس لتمييز مبدأ إبيقور الفعال من مبدأ ديمقريطس النظري.[م]

مسودة تمهيد جديد

الأطروحة التي أقدمها بموجب هذا للجمهور هي عمل قديم وكان مخصصاً في الأصل كجزء من عرض شامل للفلسفة الإبيقورية والرواقية والشكية.[أ] في الوقت الحاضر، مع ذلك، تمنع الترتيبات السياسية والفلسفية من نوع مختلف تماماً من إنجاز مثل هذه المهمة.

الآن فقط جاء الوقت الذي يمكن فيه فهم أنظمة الإبيقوريين والرواقيين والشكاك. إنهم فلاسفة الوعي الذاتي. ستظهر هذه السطور على أي حال مدى قلة ما تم تحقيقه حتى الآن نحو حل المشكلة.

[أواخر 1841 وأوائل 1842]

ملحق: محطات مصوّرة من حياة

كارل ماركس

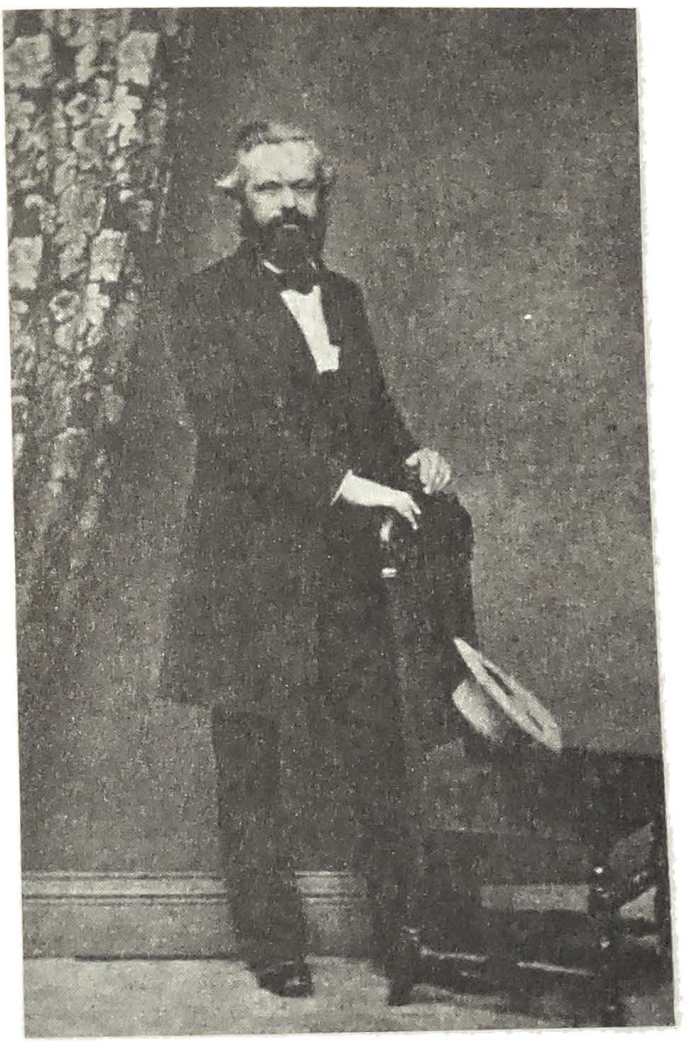

كارل ماركس، 1861 .

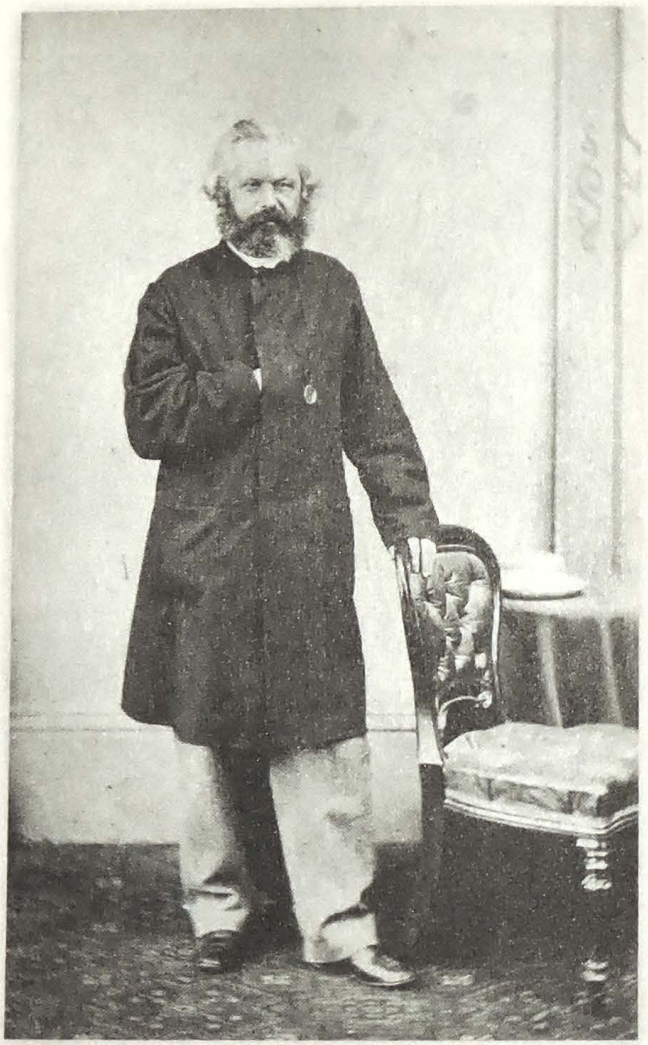

كارل ماركس، 1866 .

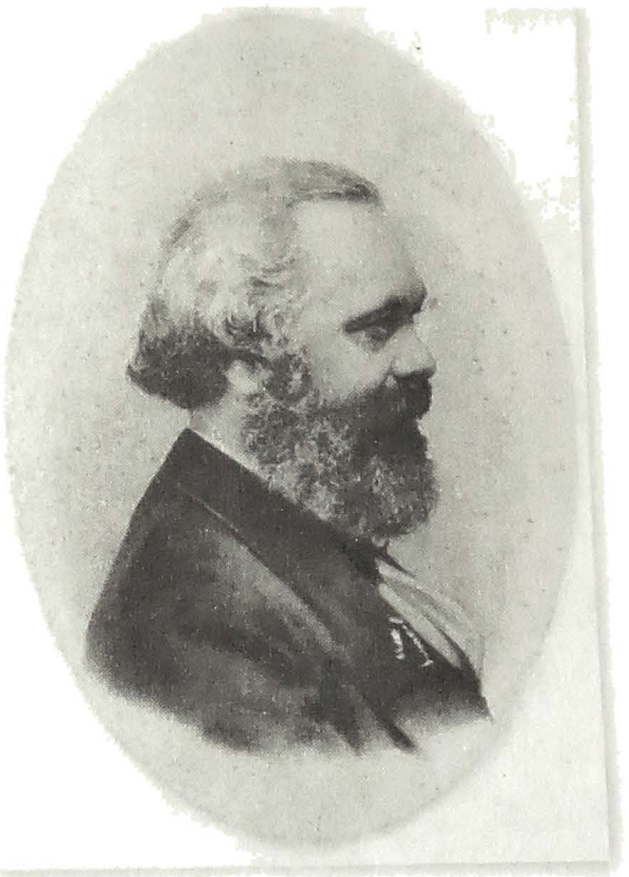

كارل ماركس في هانوفر، 1867.

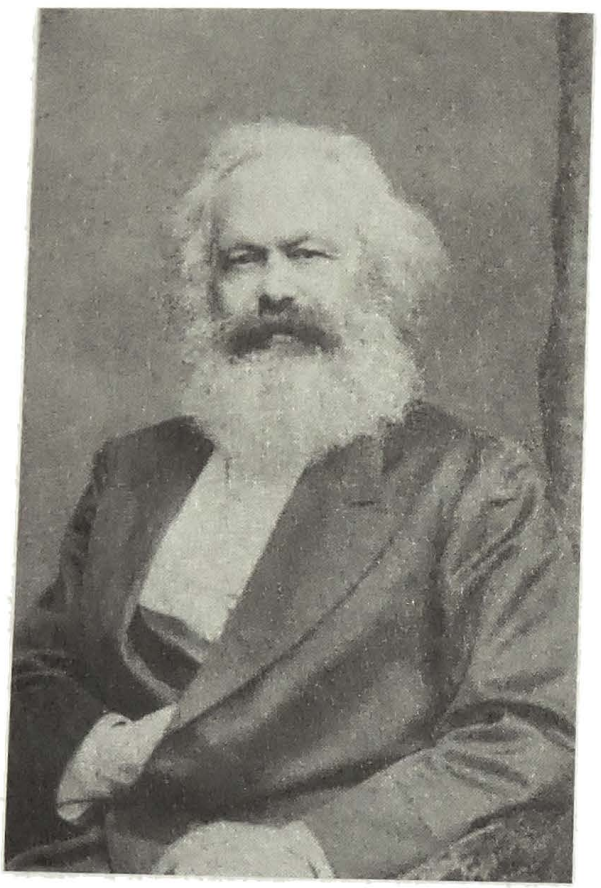

كارل ماركس، 1870.

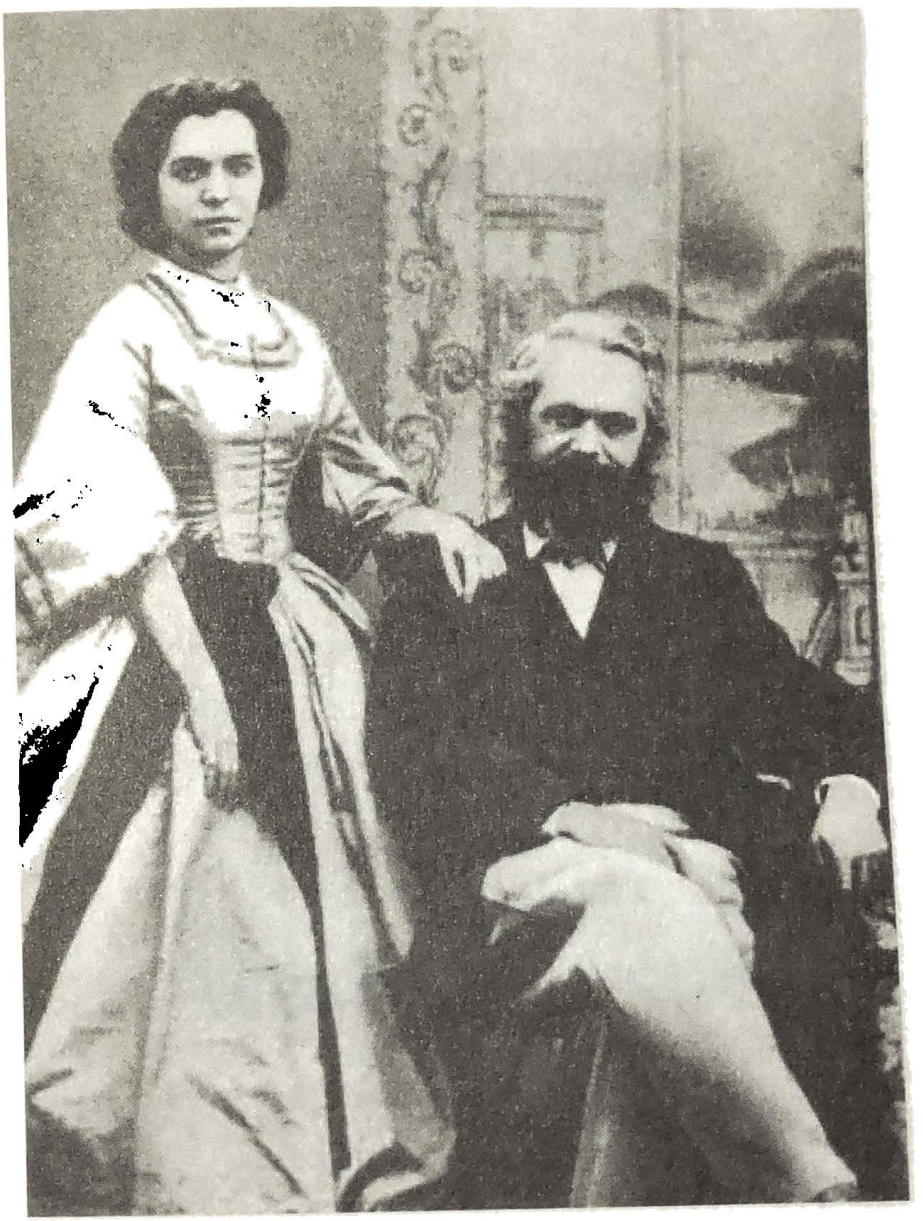

كارل ماركس وجيني لونجيت، 1866 .

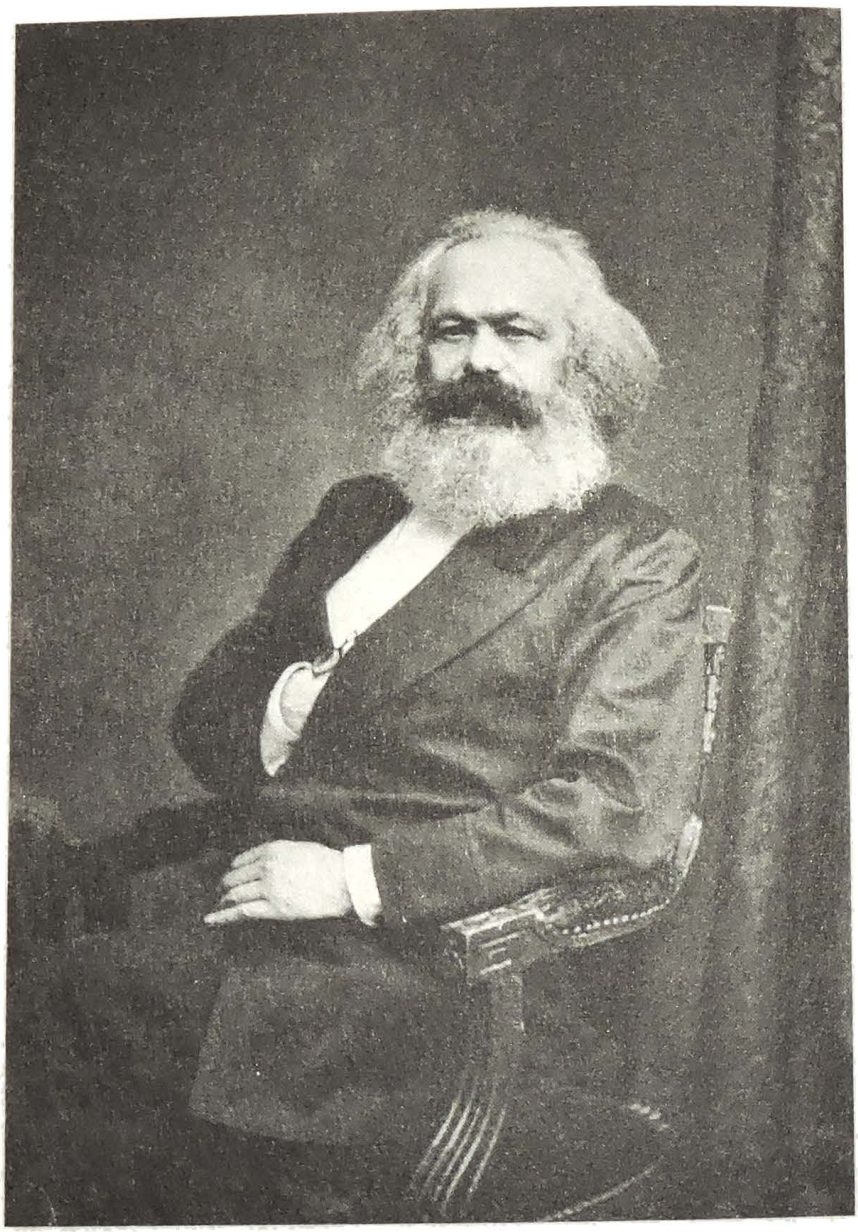

كارل ماركس، 1869 .

كارل ماركس، فريدريك إنجلز، وبناته جيني، إليانور، ولورا ماركس، 1864.

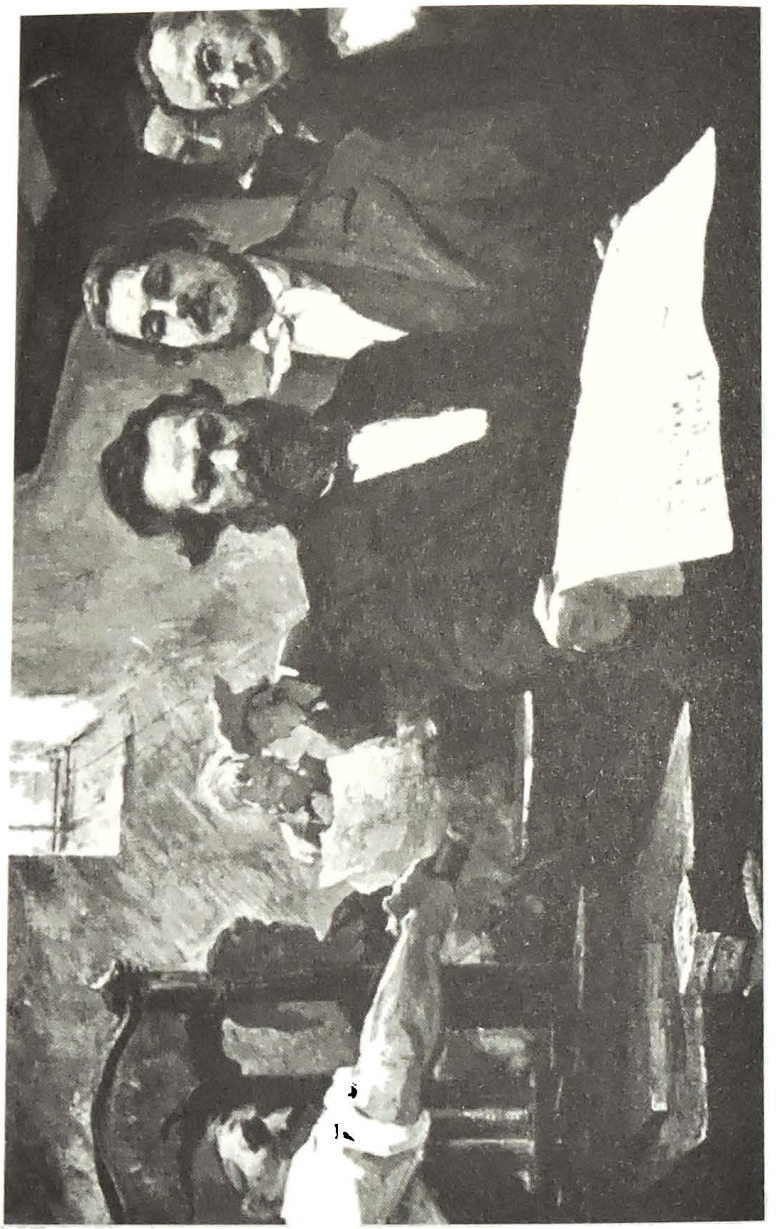

خطاب كارل ماركس في مؤتمر لاهاي للأممية الأولى، 1872.

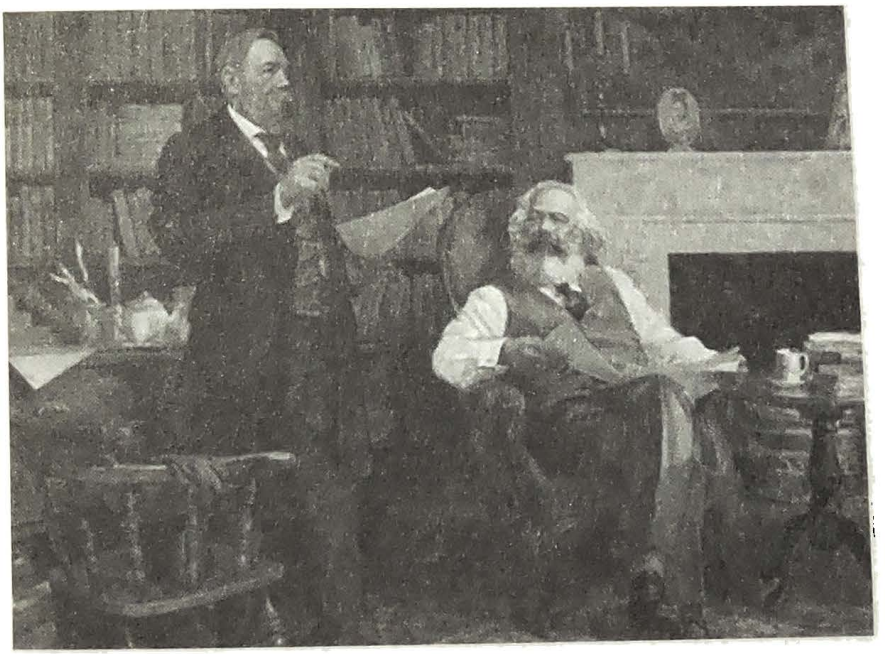

كارل ماركس وفريدريك إنجلز.

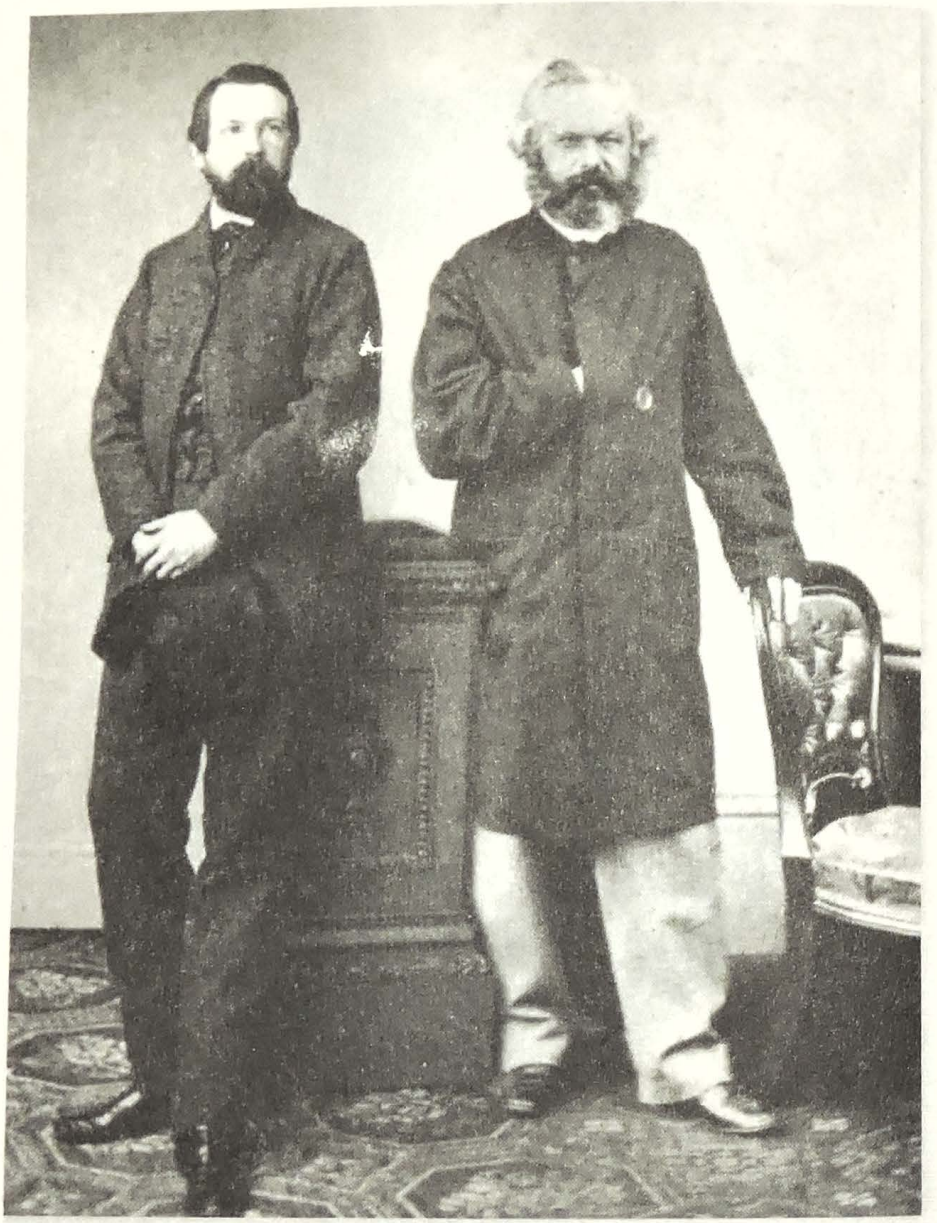

كارل ماركس وفريدريك إنجلز، 1860 .

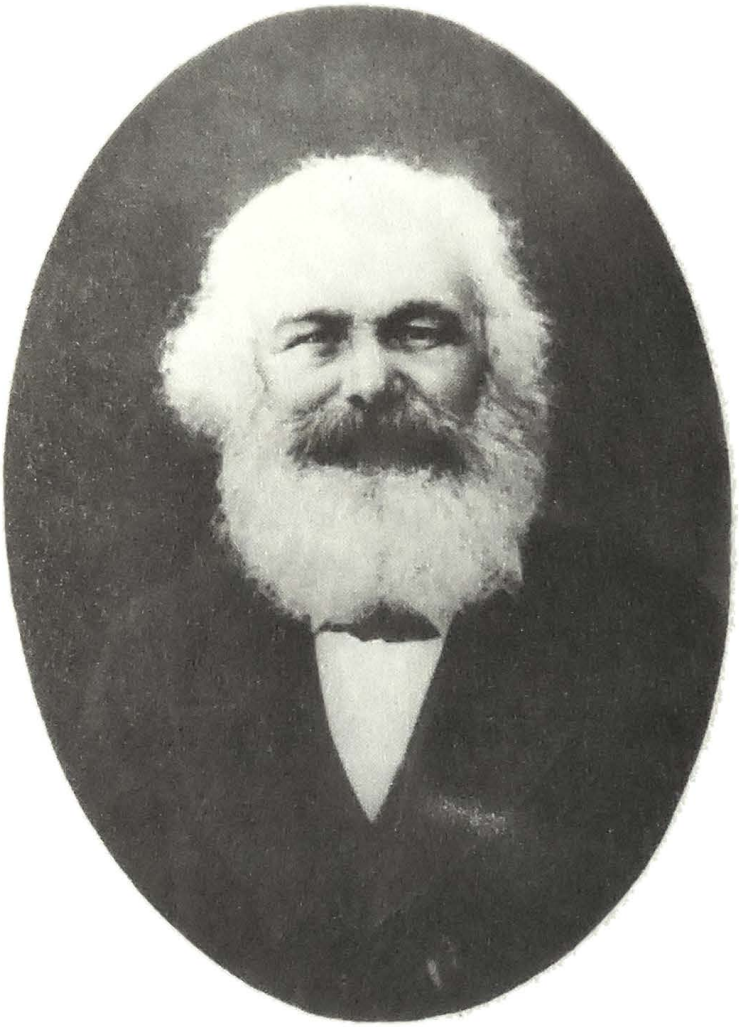

كارل ماركس، 1882.

هذا الكتاب

في عالم تتصارع فيه الأفكار وتتجاذب الفلسفات، يطرح سؤال محوري: هل تموت الأفكار بموت أصحابها؟ أم أنها تحيا حياة مستقلة، تتجدد وتتطور عبر الأجيال؟ كارل ماركس، الذي رحل عام 1883، ترك وراءه إرثاً فكرياً يشعل النقاشات حتى اليوم، لكن قبل أن يصبح الثائر الاقتصادي والمفكر السياسي الذي نعرفه، كان شاباً في الثالثة والعشرين يصارع أعمق الأسئلة الفلسفية في أطروحة الدكتوراه التي تحمل بين طياتها مفاتيح فهم عبقريته.

«الاختلاف بين فلسفة الطبيعة عند ديموقريطس وابيقور» - عنوان يخفي وراءه ثورة فكرية يبحث عن إجابات لأسئلة الكبيرة التي غيرّت مسار الفلسفة الحديثة، وقد غاص ماركس في أعماق الفلسفة اليونانية القديمة بحثاً عن إجابات لمعضلة فكرية عميقة: كيف يمكن التوفيق بين المادية الميكانيكية والفلسفة المثالية الألمانية؟ وجد ماركس إجابته في صراع فيلسوفين قديمين: ديموقريطس الذي صوّر عالماً يسير وفق قوانين حتمية صارمة، وابيقور الذي أدخل مفهوم «انحراف الذرة» - تلك الحركة العشوائية الطفيفة التي تكسر حلقة الحتمية وتفتح المجال للحرية والإبداع.

هكذا تمكن ماركس الشاب من ابتكار مادية جديدة، تتجاوز الجمود الآلي وتحتضن الديناميكية والإبداع كجوهر للوجود المادي، كل هذه المفاهيم ستجد طريقها لاحقاً إلى تحليله للرأسمالية والصراع الطبقي، ومن المفارقات المؤسفة فإنَّ ترجمة هذا العمل الرائد اليوم هو استدراك متأخر لما كان يجب أن يتمَّ منذ عقود لاهميته الفلسفية الاستثنائية . هذا الكتاب ليس مجرد ترجمة أو دراسة أكاديمية، بل رحلة اكتشاف حقيقية لاستكشاف الجذور الفلسفية العميقة لأحد أكثر العقول تأثيراً في التاريخ الحديث. في زمن تواجه فيه البشرية تحديات وجودية جديدة، في نجد في رؤية ماركس المبكرة عن الطبيعة الإبداعية والديناميكية مفاتيح لفهم عالمنا المعاصر؛ فالأفكار، كما أثبت ماركس نفسه، لا تموت بموت أصحابها، بل تحيا وتتجدد مع كل جيل يعيد اكتشافها.

كارل ماركس

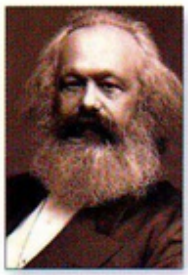

(1818–1883) فيلسوف واقتصادي وصحفي ألماني، يُعدّ من أبرز المفكرين الذين أثروا في تاريخ الفكر السياسي والاقتصادي، ولد في مدينة تريير الألمانية، ودرس القانون والفلسفة والتاريخ في جامعتي بون وبرلين، وبعد حصوله على الدكتوراه في الفلسفة عام 1841، انخرط في العمل الصحفي، و شارك في تأليف البيان الشيوعي مع فريدريش إنجلز (1848). ركزت أعماله على نقد الرأسمالية وتحليل الصراع الطبقي.

The Academic Center for Research
CANADA- TORONTO

للحصول على كتب إصداراتنا PDF

+964 780 226 2494
facebook.com/acadcntr
www.acadcr.com
info@acadcr.com

ISBN 978-1-998556-48-9
9 781998 556489